تاريخ
الدوله العلية العثمانية
و
تاريخ العائله الخديويه

يشتمل على تاريخ تركيا الحديث وفتوحاتها باوربا واسيا
وافريقيا من ابتداء القرن السابع عشر الى نهاية التاسع
عشر وذكر علاقتها بمصر الى عهد الاسره المالكة الان

بقلم
م - ا - ح
بقسم الاداره بوزارة الاشغال العموميه

مطبعة الاتحاد المصري باول حارة الروم بالغورية بمصر

تاريخ
الدولة العلية العثمانية
و
تاريخ العائلة الخديوية

يشتمل على تاريخ تركيا الحديث وفتوحاتها باوربا واسيا وافريقيا من ابتداء القرن السابع عشر الى نهاية التاسع عشر وذكر علاقتها بمصر الى عهد الاسرة المالكة الان

بقلم

م . ا - ح

بقسم الاداره بوزارة الاشغال العموميه

مطبعة الاتحاد المصرى بأول حارة الروم بالغورية بمصر

الفصل الاول

تقدم الفتوح العثمانية

الى سنة ١٥٧١

تأثير الفتوح العثمانية على أوربا

فتح محمد الثانى القسطنطينيه ولقب بالفتح وتبوأ عرش امبراطورة الدولة الرومانيه الشرقيه فلم يقنع ولم يكفه مانال وما نالت دولته من العظمة باستيلائه على هذا البلد الذى استعصى على كثيرين قبله بل سعي الى توسيع نطاق مملكته ففتح بلاد الأفلاق وأتم فتح الصرب (١٤٥٧ـ٦٠م) والموره (١٤٦٠م) والبوسنه (١٤٦٤م)

غير أن محمدا لم ينل كل ماأراد من توسيع نطاق ملكه اذ أوقف تقدم فتوحه في الشمال يوحنا هنيادي والراهب يوحنا كابستران بعد أن هزماه فى بلغراد واضطراه الى رفع

حصار بلغراد

الحصار عنها سنة ١٤٥٦ م ولما مات هنيادى خلفه فى الوقوف فى وجه العثمانيين ابنه ماتياس كورفينوس. وأوقف تقدم فتوحه نحو الغرب اسكندر بك زعيم ألبانيا ولما يئس محمد من التغلب عليه اضطر الى التخلى عن محاربته والاعتراف بسيادته على ألبانيا وذلك سنة ١٤٦١م ولما مات اسكندر بك (١٤٦٧ م) سهل على محمد الفاتح ضم ألبانيا الى أملاك الدولة ولا يزال الألبان الى اليوم مستعصين على الحكومة العثمانية تعانى فى حكمهم المشاق

ضم ألبانيا

فاسكندر بك كما رأيت وقف حائلا بين العثمانيين وايطاليا وما وراءها من البلاد الأوربية ولم يكد هذا الحائل يزول حتى أخذ العثمانيون يفكرون فى غزو البندقية وكانت هذه الجمهورية قد تقوت بما رأته من انتصار اسكندر بك وقل خوفها من العثمانيين مع أنها عقب استيلائهم على القسطنطينية وقع الرعب فى قلوب أهلها فسالموا السلطان وعقدوا معه صلحاً سنة ١٤٥٤م. فلما مات من علقت عليه البندقية الآمال زحف عليها العثمانيون ومازالوا نحوها سائرين حتى وصلوا نهر الثياف سنة ١٤٧٧م فضاووا على

غزو البندقية

أبواب مدينة البندقية وكانوا قبل ذلك قد أخذوا من تلك الجمهورية جزيرة نجروبونت سنة ١٤٧٠م فلم يسعها فى هذه الظروف الا عقد معاهدة مع محمد الفاتح سنة ١٤٧٩م

بعد ذلك أصبح العثمانيون ذوى الكلمة النافذة فى بحر الأرخبيل وفى البحر الأسود قوى نفوذهم باستيلائهم على سينوب وطرابزون وبأخذهم القرم سنة ١٤٧٥م أخذها الصدر الأعظم كدك أحمد

سينوب
طرابزون
القرم

ومما عجز عنه محمد الفاتح أخذ جزيرة رودس فانه حاصرها سنة ١٤٨٠م ولكن اصحابها وهم رهبان القديس يوحنا الأوروشليمى دافعوا عنها دفاع الابطال فاضطر العثمانيون إلى الارتداد عنها

حصار رودس
١٤٨٠ م

واذا كان العثمانيون قد عجزوا عن الاستيلاء على تلك الجزيرة فقد اعتاضوا عنها فى السنة عينها (١٤٨٠م) بنزولهم ايطاليا بقيادة كدك أحمد واستيلائهم على أوترانت ولكنها خرجت من يدهم بعد ذلك بزمن يسير فى زمن السلطان بايزيد الثاني

الاستيلاء على
أوترانت
١٤٨٠ م

وفى سنة ١٤٨١م أخذ محمد الفاتح يتأهب لحملة ضخمة

لا يعلم أين كان يريد توجيهها ولكنه مات قبل أن يتم ما أراد ولو عاش لكان من المحتمل استيلاؤه على رومة ولعبه بأوربا لعبا ولكن الموت يقطع الآمال ويغير مجرى الاحوال

بعد موت محمد الفاتح وقف تيار الفتوح العثمانية واستولى على الحكومة الخمول والاضطراب نحواً من ثلاثين سنة وذلك لأن بايزيد الثاني (١٤٨١م-١٥١٢م) الذي خلف أباه محمدا الثاني لم يتصف بما اتصف به اسلافه من الهمة وطلب المعالي وقوة العزيمة فعجز عن أن يتشبه بهم ولم يقتصر الأمر على ما قدمنا بل كانت مدة حكمه مع طولها ملاى بالقلاقل التي زعزعت نفوذه وجعلته يعتزل الفتح ليحافظ على ماورثه من فتوح أسلافه وتنحصر هذه القلاقل

بايزيد الثاني ١٤٨١-١٥١٢م

١ - في تمرد السلجوقيين في قرمان وغيرها من جهات آسيا الصغرى

٢ - واغارة المماليك الشراكسة في زمن السلطان قايتباى على املاك العثمانيين في آسيا ومحاربتهم اياهم عدة سنين في كيليكيا

٣ - وفي سوء العلاقات بين بايزيد وأخيه الأمير جم ثم بينه وبين أولاده في السني الاخيرة من حياته

الاميرجم

وأهم ما حدث من الخلاف بين بايزيد وأقاربه ما كان بينه وبين أخيه الأمير جم وكان كأبيه قادراً كفؤاً اليق بالسلطنة من أخيه السلطان بايزيد غير ان بايزيد كان أسبق الى القسطنطينية واستمالة الينشارية عند وفاة أبيه فجلس على عرش السلطنة قبل جم ونشب القتال بينهما فهزم جم والتجأ الى السلطان قايتباى فى مصر فاكرم وفادته ثم التجأ الى رهبان القديس يوحنا فى رودس وأراد بايزيد أن يجعل أخاه حاكما على ولاية قرمان فلم يقبل واتفق بايزيد مع رهبان رودس على ابقاء أخيه عندهم أسيراً ففعلوا ثم اعطوه الى ملك فرنسا فبعث به الى البابا انوسنت الثامن وهذا تعهد لبايزيد بسجن أخيه على شرط أن يأخذ على ذلك أجراً سنوياً وهكذا بقى رجال أوربا ينتفعون من سجن جم دون أن توبخهم ضمائرهم على هذا التسفل وعلى اهانة من التجأ اليهم حتى ولى البابوية بعد أنوسنت البابا اسكندر فسم الأمير جم وكان ذلك خاتمة حياة هذا الأمير البائس الذى يرى فيه المؤرخون انه لو جلس على عرش السلطنة لكان كاسلافه فى اعلاء كلمتها والمحافظة على مجدها

أما الخلاف بين بايزيد وبين أولاده فانتهى بفوز أصغرهم

سليم إذ تمكن من استمالة الجند واكره اباه على التخلى عن الملك وولى هو السلطنة بعده

سليم ١٥١٢ـ ١٥٢٠م

بجلوس السلطان سليم الاول على كرسى السلطنة دبت الحياة الاولى فى الحكومة العثمانية فهبت من سباتها واستأنفت السير في فتوحها ذلك لأن سليم لم يجمد جمود ابيه وكان جريئاً على سفك الدماء فلم يغادر من أقاربه كبيراً ولا صغيراً الا قتله حتى لا يبقى منهم من يعكر عليه صفوه كما عكر هو واخوته وعمه جم على والده من قبل ولم ينج من ذلك العمل الوحشى الا افراد قلائل

خالف سليم أباه فى السياسة ورأى ان يحذو حذو أسلافه الفاتحين غير انه مدّ فتوحه فى جهتين لم يول اسلافه وجوههم نحوهما فان اسلافه الفاتحين ساروا شمالا وغربا ولكنه سار فى فتوحه جنوباً وشرقا

محاربة الفرس

بدأ سليم بمحاربة الفرس وسالم كل من عاداهم من جيرانه ليتفرغ لهم والسبب فى بدئه بمحاربة الفرس تخوفه من الشاه اسماعيل الصفوى فان هذا الشاه تغلب على الأمراء الذين اقتسموا بلاد فارس بعد انتهاء دولة المغول فقوى بذلك نفوذه

قضى هولاكو مدمر بغداد وحفيد جنكيز خان على الخلافة العباسية وانتزع الملك من ملوك الطوائف الذين كانوا في فارس وما جاورها وبعد أن حكمت أسرته نحو ١٥٠ سنة اقتسمت أملاكهم أمراء عدة من التركمان والأكراد

وفي أوائل القرن الخامس عشر كان تيمور لنك قد انتزع الملك من هؤلاء الأمراء وجاء بعده خلفاؤه فلم يقدروا على حفظ كيان دولته كلها فتمكن رؤساء قبائل الأكراد والتركمان من اعادة نفوذهم على الاراضي التي في وادي الفرات اذ ذاك ظهر الشاه اسماعيل الصفوي وأخذ يكافح ويناضل حتى استولى على ما بأيدي خلفاء تيمورلنك من الأقاليم الفارسية وتغلب على كثير من أمراء التركمان والأكراد فاصبحت أملاك الفرس متاخمة لأملاك العثمانيين وأفضى ذلك الى احتكاك ساعد عليه اختلاف المذهبين فان الفرس كانوا شيعة والعثمانيون سنيون وخاف سليم من أن يكون لتطرق مذهب الشيعة الى أملاكه خطر على الدولة العثمانية فرأى أن يتخلص من الشيعة الذين في بلاده ثم يقضى

علي اسماعيل شاه زعيمهم في بلادهم وبعد ان قتل وسجن من الشيعة الذين في بلاده نحواً من أربعين الفا سار لمحاربة زعيم الشيعة الشاه اسماعيل وزاد سليما سخطا على اسماعيل انه آوى بعض أقاربه الفارين من المذبحة التي كانت في أول حكمه وزاد العداء بينهما استحكاما تبادلهما رسائل جارحة

ولم يكن غزو بلاد الفرس بالأمر الهين فان اسماعيل لما أيقن ان الحرب واقعة لا محالة دمر البلاد التي بين عاصمته تبريز والحدود العثمانية فاضطر العثمانيين الى اختراق بلاد قفر تنهك قوى الجيش العثماني ويكلفه اختراقها مصاعب لا يستهان بها فلم يعق ذلك كله سليم عن عزمه بل سار رغم أنف الجند حتى التقى بالشاه اسماعيل في (چال دران) سنة ١٥١٤ م وبعد قتال عنيف وخسائر فادحة في الطرفين انتصر سليم ورئيس قواده سنان باشا وجرح الشاه ووقع عن جواده ودخل السلطان تبريز ظافراً منصوراً وأعمل في أسرى الحرب السيف وأرسل الي القسطنطينية كثيراً من مهرة الصناع الذين اشتهرت بهم تلك المدينة فكان هؤلاء سببا في نشر كثير من دقائق الصنائع في القاهرة ودمشق

چال دران
١٥١٤ م

ولم يعق السلطان عن المضى فى الحرب حتى يقضى على ملك الشاه إلا تذمر جنده فاكتفى بالاستيلاء على اقليمى كردستان وديار بكر ثم قفل راجعا الى القسطنطينية دون أن يعقد صلحا مع الشاه

فتح كردستان وديار بكر

فتح مصر

وكان حرب سليم مع الشاه اسماعيل سببا فى أن المماليك فى مصر شغلوا وقلقوا لفتح العثمانيين ديار بكر وكردستان لمجاورتها أملاكهم وخافوا من قرب العثمانيين منهم فبث السلطان قنصوه الغورى جنوده على الحدود لتراقب جنود العثمانيين فعد السلطان سليم ذلك تهديدا من المماليك وكان لا يزال ناقما منهم جرأتهم على محاربة أبيه وايواءهم أحد أخويه المعادين له وعدم مساعدتهم اياه فى حروبه مع الشاه اسماعيل وكان سليم يعتقد فوق ذلك ان المماليك متحدون سرا مع الشاه اسماعيل فكانت كل هذه الاسباب داعية الى رغبة السلطان فى فتح مصر واستشار رجاله فأشار عليه واحد منهم بغزوها وأعجب السلطان الرأى فزحف على سوريا (١٥١٦م) والتقى بجيش المماليك فى مرج دابق بقرب حلب فهزمهم وقتل سلطانهم الغورى واشتغل المماليك فى

مصر باختيار غيره فاختاروا له خلفا شهما هو طومان باى وفى أثناء ذلك استولى العثمانيون على سوريا وزحفوا على غزة وقاومهم المماليك ولكن لم تجد مهارتهم الحربية نفعا أمام السلطان وسنان باشا وجنودهما المدربة ومدافعهم القوية فتقهقروا وجمع طومان باى جنوده فى الصالحية فلم يلقهم العثمانيون هناك بل ساروا الى الخانكاه دون أن يمروا بالصالحية فلما علم طومان باى عاد الى القاهرة فقابلهم عند الخانكاه وكانت وقعة فى بركة الحاج سنة ١٥١٧ م فيها تجلت شهامة المماليك وشجاعتهم وقتلوا كثيرين من كبار العثمانيين وطعنوا سنان باشا برماحهم وكادوا يقضون على سليم نفسه ولكن ذلك لم ينفعهم أمام مدافع العثمانيين وزحف الفاتحون على القاهرة وما زال المماليك يقاومونهم وهم يسيرون ببطء حتى وصلوا القلعة وتم استيلاؤهم على مصر فصارت ولاية عثمانية يحكمها وال عثمانى ويساعده أربعة وعشرون من المماليك.

فتح سوريا

وباستيلاء السلطان سليم على مصر ورث من المماليك مالهم من الحقوق على الحجاز ولكى يقوى مركزه الدينى تنازل له الخليفة العباسى المتوكل عن الخلافة الإسلامية وأصبح

أثر فتح مصر

سلطان العثمانيين من ذلك الحين خليفة المسلمين

وبفتوح سليم زادت أملاك العثمانيين مثلها إذ انضم اليها مصر والشام وجزء كبير من بلاد العرب والجزء الشمالى من وادى الفرات وعلم العالم قوة العثمانيين فى الحروب البرية

نتائج فتوح سليم

وقبل وفاته أخذ يتأهب ويعد معدات حربية برية وبحرية أخفى قصده منها والمظنون أنه كان يريد الانقضاض على رودس ويظهر مكانة العثمانيين البحرية ولكن وافاه أجله فقطع أمله ولكن لم يقض على تأهبه ولم ينقص من المعدات التي جمعها فكانت ممهدا لخلفه العظيم السلطان سليمان الفاخر أو القانونى

السلطان سليمان ١٥٢٠—١٥٦٦م

جاء سليمان بعد أبيه سليم فنهض بالدولة نهضة لم تعرفها من قبل ولم تعد لها من بعد

عاش سليمان فى عصر عجيب عاش فى زمن عاش فيه كثير من فحول رجال القرن السادس عشر عاش معاصرا لشارلس الخامس وفرانسيس الاول وهنرى الثامن واليصبات والشاه اسماعيل وغيرهم من كبار رجال التاريخ

عاش فى عصر الاكتشافات الكبيرة والنهضة العلمية الأدبية فى أوربا وبالجملة عاش فى زمن استيقظت فيه أوربا

ومع ذلك لم يكن من بين الملوك في ذاك العصر العظيم من لا يقر لسليمان بالتفوق وللعثمانيين بعلو الكلمة وان رجلا يرفع مقامه ومقام قومه بين تلك الدول الناهضة لخليق أن يعدأ كبر سلاطين العثمانيين

اشتهر سليمان بالحلم وحب العدل ولم يأل جهدا في الضرب على أيدى المفسدين من رجال حكومته وما زال ينشر العدل ويستأصل الفساد حتى فرحت رعيته واستبشرت بولايته خيرا

حروبه

وما كاد يستقر على كرسى السلطنة حتى بدأ فى حروبه البرية والبحرية التى أكسبته الشهرة وزادت بلاده عظمة على عظمة وأهم حروبه البرية مع النمسا والمجر

الحرب الاولى ١٥٢١ م

والسبب فى الحرب الاولى ان المجريين أهانوا سفيره في بلادهم ورأى السلطان أن وسائل الانتقام متوفرة بما تركه أبوه قبيل وفاته من المعدات الحربية فزحف على بلاد المجر وما لبث أن استولى على بلغراد التى عجز عن فتحها محمد الفاتح

الحرب الثانية ١٥٢٦ م

والذى دعاه الى محاربة المجر للمرة الثانية أمران أولهما ماراى من تمرد الينشارية في الفترة التى لم يشغلهم فيها بالحرب والثانى عمله باشارة فرانسيس الاول ملك فرنسا وذلك ان

فرانسيس لما بينه وبين شارلس الخامس من العداء أراد أن يشغله باقتراب العثمانيين من النمسا

سار الجيش العثمانى يقوده السلطان نفسه فالتقى بلويس الثانى ملك المجر فى (موهاكس) وفيها انتصر سليمان انتصارا ضربت به الأمثال وقتل لويس وكثيرون من أشراف البلاد ورجال الدين واستأنف سليمان المسير الى بودا وبست فاحتلهما وبعث بكثير من الاسرى والغنائم الى القسطنطينية وأصبحت المجر ولاية عثمانية وبقيت كذلك نحوا من ١٤٠ سنة بعد ان وقفت حائلا بين العثمانيين وسائر البلاد الأوروبية زمنا طويلا واختار سليمان (زابوليا) حاكم ترانسلفانيا عاملا على البلاد من قبل العثمانيين

الحرب الثالثة

ولما صار (زابوليا) حاكم المجر نازعه حاكم النمسا وكانت بينهما حرب داخلية دعت سليمان الى التداخل لنصرة عامله على المجر ولما علم فردناند بعزم السلطان استولى عليه الخوف وحاول استرضاءه وبعث اليه رسلا تقرر صلحا ولكن السلطان لم يقبل شيئا من ذلك ورد السفراء واخبرهم بأنه ذاهب الى فردناند فى موهاكس أو فى بست فان لم يجده قابله فى (ويانه).

ففى سنة ١٥٢٩ م استرد سليمان بودا وأعاد (زابوليا) الى عرش المجر وأخذ يزحف على ويانه ثم حاصرها وحاول غير مرة أخذها عنوة فلم يستطع الى ذلك سبيلا بل اضطر الى رفع الحصار عنها وكان هذا أول فشل صادفه

بعد ذلك بنحو ثلاث سنين عاد سليمان الى الزحف على ويانه ولكنه رجع بعد ان اقترب منها لما رأى من استعداد شارلس الخامس للدفاع عنها بجنوده الكثيرة التى جمعها من أملاكه المختلفة فى أوربا وانتهى الخلاف بصلح عقد فى القسطنطينية (١٥٣٣م) وبه قسمت المجر بين فردناند وزابوليا

غير أن ذلك الصلح لم يضع حداً للخلاف واستمر القتال بين النمسا والعثمانيين من آن لآن حتى كانت سنة ١٥٤٧ م وفيها عقد صلح بين الدولتين واستولى السلطان على بلاد المجر وضرب الجزية على فردناند حاكم النمسا وبقيت النمسا تدفع هذه الجزية حتى سنة ١٦٩٩ م وخرج السلطان من تلك الحروب الطويلة عالى الرأس غير أن بعض بلاد المجر بقيت تقاومه فاضطر الى محاربتها وبينما هو يحاصر احداها وافاه أجله سنة ١٥٦٦ م

فتح بغداد ١٥٣٤م

وفى أثناء اشتغال السلطان بهذه الحروب مع النمسا حصل خلاف بين العثمانيين والفرس وكان اضطراب على حدود أملاكهم فكانت النتيجة توجيه الجيوش العثمانية الى بلاد فارس واستيلاء السلطان على بغداد (١٥٣٤ م) .

وفى الاساطيل العثمانية

لم تكن أساطيل سليمان بأقل نفوذاً فى البحر من جيوشه فى البر فان الأساطيل العثمانية فى ذاك العصر عصر الملاحة تقدمت وارتقت حتى أصبحت مهيبة فى البحر الأبيض والبحر الأحمر وبحر الهند وبها زادت هيبة العثمانيين واتسعت أملاكهم يدل على ذلك ما قام به العثمانيون فى ذاك الوقت من الأعمال البحرية فانهم فتحوا رودس (١٥٢٢ م) وتونس (١٥٣٤ م) وهزموا الدول الأوربية المجتمعة عليهم فى وقعة بره ويزه (١٥٣٧ م) وفتحوا طرابلس (١٥٥١ م) وساعدوا فرنسيس الأول ملك فرانسا على عدوه شارلس الخامس (١٥٤٣ م و ١٥٥٣ م و ١٥٥٤ م) وانتصروا على الاساطيل الأوربية المتألبة عليهم فى وقعة جربه (١٥٦٠ م) وحاصروا رهبان القديس يوحنا الاروشليمى فى مالطه (١٥٦٥ م)

هذا فى البحر الابيض وأما فى بحر الهند والبحر الاحمر فاستولوا على عدن مرتين (١٥٣٧ م و١٥٥١ م) وقاتلوا البرتغاليين فى سواحل (ججرات) وأدخلوا بلاد الشحر ضمن أملاك الدولة واستولوا على سواحل اليمن ومسقط وجزيرتى هرمز ودراخت عند مدخل الخليج الفارسى ووصلوا الى البصرة

أما الاستيلاء على رودس فهو فاتحة الفتوح البحرية الكبيرة فى زمن السلطان سليمان والذى دعاه الى فتحها رغبته فى أن لا يبقى له معارض فى الجزء الشرقى من البحر الابيض لأن سفن رهبان القديس يوحنا أصحاب الجزيرة كانت تعوق السفن العثمانية عن السير آمنة وقد دافع هؤلاء الرهبان دفاعاً عظيماً ولكن السلطان بمهارته الحربية أحرج موقفهم فسلموا بشروط تحفظ كرامتهم ثم غادروا رودس الى مالطه وكان شارلس الخامس أعطاهم اياها واشترط عليهم أن يحافظوا على طرابلس من اغارة العثمانيين

وباستيلاء العثمانيين على هذه الجزيرة قوى نفوذهم فى الجزء الشرقى من البحر الأبيض وفى أثناء ذلك اعترفت

جمهورية البندقية بتفوق العثمانيين فى البحار واحتلوا جزيرتى قبرص وزانطة التابعتين لها ومع ذلك دفعت لهم الجزية عنهما

خير الدين باشا (برباروسا)

ومن أكبر العاملين على رقى الاساطيل العثمانية وتدريب أمراء لها قادرين رجل اسمه خير الدين باشا وله الفضل فى استيلاء السلطان سليم على الجزائر وفى فتح تونس والانتصار فى وقعة بره ويزه فى زمن السلطان سليمان

خير الدين باشا « ويلقبه الافرنج بلقب برباروسا » واحد من أربعة اخوة ولدوا فى جزيرة مدللى وكان والدهم من آسيا الصغرى قبل أن يستوطن تلك الجزيرة

أخذ خير الدين باشا يشتغل بالاسفار البحرية مع أخ له اسمه أوروج ويتعاطى مهنة القرصان ثم التجأ الى سلطان تونس (وكان من بنى حفص) فأنزلهما بالقرب من تونس وجعلا يساقران ويغنمان السفن ويقاسمان السلطان الغنائم ويدافعان عنه عند الطوارئ ثم انضم اليهما أخ ثالث وكثرت مراكبهم وازدادت قوتهم فاستولوا على مدن عدة بساحل البحر الابيض أهمها مدينة الجزائر ولم يلبث خير الدين ان انفرد بحكم تلك المدن لموت أخويه فالتجأ الى السلطان سليم وأظهر ولاءه فأكرمه

السلطان وجعله حاكم الجزائر من قبل الدولة العثمانية وبقى هنالك ينقض على سفن اسبانيا وغيرها وينقذ من يقوى على انقاذهم من المسلمين الذين بقوا بالاندلس تسومهم أسبانيا سوء العذاب

وفى سنة ١٥٣٤ م لما عاد السلطان سليمان من محاربة الفرس والاستيلاء على بغداد دعا خير الدين الى القسطنطينية وجعله أميراً عاما (قبودان باشا) للأساطيل العثمانية ولقبه بخير الدين وكان اسمه خضر فأخذ من ذاك الحين يقوى أساطيل الدولة ويدرب رجالها ويهزم أعداءها ففى سنة ١٥٣٤ م استولى على تونس ولكنها خرجت من يد العثمانيين اذ استولى عليها شارلس الخامس سنة ١٥٣٥ م ثم فتحتها الدولة سنة ١٥٧٣ م فى عهد سليم الثانى

وفى سنة ١٥٣٨ م كانت وقعة بره ويزه بين الاساطيل العثمانية التى كان يقودها خير الدين وبين أساطيل البندقية والبابا والامبراطور شارلس الخامس وكان يقودها كلها أمير بحرى اسمه (دوريا) وكان من أكبر أمراء البحر وفى هذه الوقعة انتصر خير الدين انتصاراً باهراً وأثبت للملأ أن الأساطيل

العثمانية لا تغلب وان السيادة فى البحر الابيض لدولة آل عثمان

وفى سنة ١٥٤٣ م سار خير الدين بأسطول ضخم الى فرانسا ليساعد ملكها على شارلس الخامس فاستولى على مدينة (نيس) وأقام بمياه (طولون) مدة فصل الشتاء ثم عاد الى القسطنطينية فأقام فيها الى أن توفى سنة ١٥٤٦ م

ومن أكبر أمراء البحر الذين قادوا أساطيل الدولة العثمانية فى البحر الابيض فى ذلك العصر الجليل (طرغود) و (بياله) وكان الاول من العاملين فى فتح طرابلس والثانى قائد الاسطول فى وقعة جربه ومن أعمالهما معاً محاصرة جزيرة مالطه فان رهبان القديس يوحنا الأوروشليمى بعد ان نزلوا هذه الجزيرة جعلوا يقلقون أساطيل العثمانيين فى الجزء الغربى من البحر الأبيض فبعث السلطان سليمان اليهم قوة هائلة يقودها بياله وطرغود فحاصرت الجزيرة حصاراً عنيفاً ودام القتال أربعة أشهر وأبدى الرهبان بسالتهم المعروفة فاضطر العثمانيون الى الارتداد عن الجزيرة

أما الاعمال البحرية فى بحر الهند والبحر الاحمر فتمت على يد سليمان رئيس وبيرى رئيس وسيد على رئيس وكلهم

من كبار أمراء البحر في ذاك العصر

وقد بلغت الدولة العثمانية أوج عظمتها في عهد هـذا السلطان العظيم ولم يزد على املاكها بعده الا قبرص وتونس في زمن السلطان سليم الثاني وكريد في زمن السلطان محمد الرابع وكانت الدولة اذ ذاك أكبر اتساعا وأكثر سكانا من كل دولة من الدول الاوربية وصار العثمانيون ذوي السيادة على البحار الثلاثة الأبيض والأسود والاحمر وامتدت دولتهم من عدن الى بودا ومن بغداد الى الجزائر فملكوا شواطئ البحر الاسود الشمالية والجنوبية وبلاد المجر وشمال أفريقية من حدود الشام الى حدود مراكش

ولم تقتصر عظمة سليمان على حروبه وانتصاره في مواطن القتال فانه كان فوق ذلك اداريا حازما وقانونيا مصلحا حسنت في زمنه سمعة البلاد العثمانية وسهلت للأجانب سبل الاقامة فيها فوفدوا عليها من كل جانب وأهم أعمال سليمان الاصلاحية

١ — ان أمّن تجار الاجانب النازلين بلاده على أملاكهم وأنفسهم ومنحهم الحرية التامة في دينهم وخول لهم حق التقاضي

بقوانينهم وهذا أصل الامتيازات الأجنبية التى لا يزال الاجانب متمتعين بها فى بلاد الدولة الى اليوم

٢ — خفف الضرائب وكف يد ظلمة الحكام عن التعدى على الرعية

٣ — نظم الجيش وزاد فى عدده

٤ — بذل الجهد في منع الرشوة

٥ — رقى التعليم وشجع العلماء

فأنت ترى انه مع كثرة حروبه نظم ادارة البلاد وأصلح داخليتها فعصره أجل عصر فى تاريخ هذه الدولة وهو أشبه بعصر أغسطس قيصر فى الدولة الرومانية وعصر الرشيد والمأمون في الدولة العباسية

بدء اضمحلال الدولة

وبعد هذا العصر أخذت دولة العثمانيين تسير فى طريق الاضمحلال سيرا متواصلا الا فى فترات قليلة كانت تتجدد فيها قوتها الحربية وأسباب اضمحلالها قسمان

(أ) — الاسباب الخارجية وأهمها

١ — رقى الروسيا

٢ — اتحاد الدول الاوربية أكثر من ذى قبل وذلك

بانتهاء الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت في أواسط القرن السابع عشر فان أوربا بعد ذلك تفرغت لمناوأة العثمانيين

٣ — رقي آلات الحروب ونظامها عند الدول الاوربية وعدم سير العثمانيين مع هذه الدول في هذا الرقي

(ب) — الأسباب الداخلية وأهمها

١ — مجيء عدد من ضعفاء السلاطين على أثر أولئك الفاتحين القادرين الذين نهضوا بالدولة

٢ — استخفاف الجند بهؤلاء السلاطين وتداخلهم في سياسة الدولة وتولية السلاطين وعزلهم وترتب على ذلك قلة اهتمامهم بالحرب وفقدهم صفاتهم الحربية واختيار غير الأكفاء للمناصب الكبيرة في الجيش فلم يبق للجنود قيادة ماهرة

٣ — انتشار الرشوة بين الموظفين وفقدهم الصفات اللازمة لحسن ادارة أعمال الحكومة

سليم الثاني

جاء بعد سليمان ابنه سليم الثاني فكان أول السلاطين المستضعفين ولكن الدولة بقيت حافظة لشيء من

سابق مجدها بفضل الصدر الأعظم صوقللى محمد فانه كان من رجال سليمان ولم يأل جهداً فى المحافظة على نظامات ذاك السلطان العظيم وفى عهده سارسنان باشا والى مصر لاتمام فتح بلاد اليمن وقهر ثوارها وطرد البرتغاليين منها فنجح وملك صنعاء وجعل عليها واليا فتم بذلك استيلاء العثمانيين على اليمن وزادت قوتهم ثبوتا فى جزيرة العرب (١٥٧٠ م)

اخضاع بلاد اليمن ١٥٧٠ م

وكان صوقللى يميل الى حفر قناة بين نهرى الدون وفولجا بها يمكن اتصال البحر الأسود ببحر قزوين ليساعد ذلك على فائدة العثمانيين الحربية والتجارية وكان لابد لتنفيذ هذا المشروع من الاستيلاء على مدينة استراخان على مصب فولجا وكانت فى قبضة روسيا فأرسل صوقللى حملة للاستيلاء عليها فلم تفلح وأفضى الأمر الى عقد صلح بين الدولتين العلية والروسية

هذه الحادثة هى فاتحة النزاع الذى طال أمده بين الروسيا والدولة العثمانية

فتح قبرص ١٥٧٠ م

وفى حكم سليم الثانى أخذ العثمانيون من البندقية جزيرة

قبرص (أخذهامؤذن زاده ولالا مصطفى) فزادنفوذهم البحرى قوة على قوة ولـكن لم يلبث ان صدم صدمة قوية باتحاد بحرى كبير كون ضدهم

تكون هذا الاتحاد من البندقية وأسبانيا ورهبان مالطة وغيرهم فجمعوا أكثر من مائتى سفينة حربية وجعلوا القيادة العامة لدون يوحنا النمسوى أشهر رجال الحرب فى ذاك العصر

وقابل العثمانيون هذا الاتحاد بنحو ثلثمائة سفينة حربية بعثوا بها الى خليج (بتراس) وجعلوا قيادتها المؤذن زاده والوج على (ويلقب قلنج على) وغيرهما من أمراء البحر الخبيرين المدربين وكانت السفن المتحدة فى خليج (ليبانتو)

وفي ٧ اكتوبر سنة ١٥٧١م خرج دون يوحنا النمسوى من خليج ليبانتو وكانت وقعة ليبانتو الشهيرة وفيها هزم العثمانيون وغرق كثير من سفنهم وأحرق كثير وسار مابقى من السفن الى البوسفور بعد ان خسر العثمانيون خسائر جمة فكانت هذه الوقعة ضربة قاضية على سمعتهم البحرية

غير أن العثمانيين لم يفقدوا كل نفوذهم البحرى بعد هذه الوقعة بل أخذوا يعملون لمحو هذا العار الذى لحقهم وبعد

بضعة شهور جددوا اسطولهم بسرعة مدهشة وعادوا للقتال وكان المتحدون قد تفرقوا فطلبت البندقية الصلح ومحا العثمانيون بذلك كل مالحقهم من العار في ليبانتو

وفى عهد هذا السلطان فتحت تونس (١٥٧٣م)وصارت ولاية عثمانية (راجع السلطان سليمان ص١٨ وص ٢١)

﴿تأثير الفتوح العثمانية على أوربا﴾

١ — كانت فتوح العثمانيين سببا فى القضاء على الدولة الرومانية الشرقية وفى حصول العثمانيين على عاصمة أوربية جليلة لدولتهم الضخمة

٢ — كانت سببا فى خروج كثير من الفلاسفة من القسطنطينية وانتشارهم فى أوربا حيث ساعدوا بنشر علومهم على حركتين من أكبر حركات الرقى فى أوربا وهما النهضة العلمية الأدبية (احياءالعلم ـ انتعاش التعليم) ثم الاصلاح الدينى

٣ — أخذت من البندقيةوجنوا أملاكهمافى البحر الابيض

وأفقدتهما تجارتهما فى شرقيه

٤ — جعلت السيادة فى البحر الابيض للعثمانيين فاضطرت الدول الأوربية الى الجد فى طلب طرق بحرية للتجارة فى غير البحر الأبيض

وترتب على ذلك تقدم الملاحة فى أواخر القرن الخامس عشر مما كان سببا فى رحلة (بارتولوميو دياز) واكتشافه رأس الرجاء الصالح (١٤٨٦ م) ورحلة (كولومبس) واكتشاف امريكا (١٤٩٢م) ورحلة (فاسكو دى جاما) الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح (١٤٩٧ م)



الفصل الثانى

أهم حوادث أوربا فى القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر خصوصا ما يتعلق بتركيا ومصر

علاقات تركيا مع الدول الاوربية

أشهر الدول الأوربية فى هذين القرنين .

١ ــ الامبراطورية الرومانية المقدسة وكانت مملكة متسعة مكونة من المانيا الحالية والنمسا وايطاليا ومقسمة الى ولايات كثيرة لكل منها أمير وعلى رأس الامبراطورية امبراطور هو حاكم النمسا من بيت (هابسبرج)

٢ ــ انجلترا ٣ ــ فرنسا ٤ ــ اسبانيا ٥ ــ بولاندا
٦ ــ السويد ٧ ــ بروسيا ٨ ــ روسيا ٩ ــ تركيا

(أ) — أهم حوادث أوربا فى القرن السابع عشر

حرب الثلاثين سنة

حرب الثلاثين سنة حرب كبيرة قامت فى الولايات الجرمانية من سنة ١٦١٨ م الى سنة ١٦٤٨ م وكانت فى أول أمرها حربا دينيــة بين الكاثوليك والبروتستانت ولكنها انقلبت فى الجزء الأخير منها حربا سياسية اتحد فيها بعض الدول الاوربية على النمسا لتضعف نفوذها وتوجد توازنا فى أوربا

كانت الولايات الجرمانية قد انقسمت ووجد العداء بين أهلها منذ بدأ الاصلاح الدينى فيها فى اوائل القرن السادس عشر وما زال العــداء يتزايد بين الكاثوليك والبروتستانت حتى سبب حرب الثلاثين سنة فكانت اكبر الحروب الدينية في اوربا وآخرها .

الدور الاول (البوهيمى)

بدأت هذه الحرب فى بوهيميا وسببها أن الامبراطور (ماتياس) سلب البروتستانت فى بوهيميا بعض امتيازات كانوا نالوها من امبراطور قبله واضطهدهم ملكهم فردناند (قبل ان يصير فردناند الثانى الامبراطور) فثاروا ثم مات (متياس) فى مبدأ الثورة وخلفه فردناند الثانى وكان عريقا فى الكثلكة

فلم يسمح للبروتستانت بشئ من التسامح وانتخب الثوار أحد الامراء البروتستانت فى جرمانيا واسمه (فردريك البلاطى) أحد الأمراء المنتخبين للامبراطور ليكون ملكا عليهم فاجتمعت عليه جنود بجرمانيا الكاثوليكية وهزمته فى وقعة الجبل الابيض (١٦٢٠ م) وأنزلته عن عرش بوهيميا وقمعت الثورة وقضت على قوة البروتستانت فى تلك الجهة ثم فتحت جنود الامبراطور مقاطعة فردريك (واسمها البلاطية) فلم تأت سنة ١٦٢٣ م الا والامبراطور فردريك الثانى منتصر تمام الانتصار

الدور الثانى الدانماركى

فى سنة ١٦٢٦ م بدأ الدور الثانى من حروب الثلاثين سنة وذلك بسبب تمادى الامبراطور فردناند فى اضطهاد البروتستانت وقاد جنود البروتستانت رجل اسمه (الكونت مانسفلد) وانضم الى البروتستانت فى هذا الدور ملك الدانمارك واسمه (كرستيان الرابع) وقاد جنود الامبراطور والكاثوليك رجل من أمهر القواد اسمه (والنشتين) ويساعده قائد ماهر آخر اسمه (تلى) فهزم (والنشتين) (مانسفلد) بالقرب من (ليبزج) وتعقب (تلى) (كرستيان) الى بلاده وتم النصر

للأمبراطور والكاثوليك ثم حاصر (والنشتين) مدينة (استرَالسوند) امام جزيرة (روجن) ولكنه ارتد عنها ثم كف ملك الدانمارك عن الحرب (١٦٢٩م) ولم يتداخل بعد ذلك فى شؤون جرمانيا فانتهى الدور الثانى بفوز الكاثوليك أيضا

الدور الثالث السويدى

ولم يكد الدور الثانى ينتهى حتى تجددت الحرب ودخلت فى دورها الثالث والسبب فى ذلك أن فردناند الثانى أمر بأن يؤخذ من البروتستانت ماحصلوا عليه من الأراضى منذسنة ١٥٥٢م ويجعل ملكا للكنيسة الكاثوليكية فأبى البروتستانت وتأهب الفريقان للقتال

وكان (والنشتين) قد عزل عن القيادة العامة لجنود الكاثوليك نخلفه (تِلى) وفى سنة ١٦٣١م استولى على مدينة (مَجدِبُرج) ونهبها ودمرها تدميرا فظيعا

أما بطل البروتستانت فى هذا الدور فكان ملك (السويد) واسمه (جُستاف أدولف) ومعه وزير من أكبر ساسة أوربا واسمه (اُكسنستيرن) وساعده بالمال (رِشليو) وزير فرنسا لرغبته فى اضعاف الامبراطور

وفى هـذا الدور هزم (جستاف) (تلى) بالقرب من (ليبزج) وسار حتى وصل نهر (الرين) ثم سار الى نهر الطونة وهناك هزم (تلى) فى وقعة على نهير من نهيرات الطونة فى (بافاريا)واسمه (لِك) سنة ١٦٣٢ م وزحف على (مونيخ) عاصمة (بافاريا)

ولما رأى الامبراطور ماحل بقائده من الهزيمة أعاد القيادة العامة لوالنشتين فجمع جنوده وكانت بينه و بين جستاف وقعة كبرى فى (لوتزِن) سنة ١٦٣٢ م وفيها هزم والنشتين ومات جستاف

و بعد هذه الوقعة بزمن يسير قتل « والنشتين» وانتهى الدور الثالث بعدم سلب البروتستانت أملاكهم

الدور الرابع الفرنسى السويدى

بعد ذلك دخلت الحرب فى دور سياسى وذهبت صبغتها الدينية وأصبحت حربا بين النمسويين وبين فرنسا والسويد معاً وكان يدير دفتها فى هذا الدور اثنان من أقدر السياسيين فى أوربا وهما (رشليو) وزيرفرنساو (اكسنستيرن)وزير السويد ولما مات فردناند الثانى فى أثناء هذا الدور (١٦٣٧ م) خلفه فردناند الثالث ومات (رشليو) سنة ١٦٤٢ م فقام بتنفيذ

سياسته خلفه (مَزَرِن)

واشتد القتال فى هذا الدور فالسويديون توالى انتصارهم فى شمال جرمانيا وجنوبها حتى هددوا ويانة عاصمة الامبراطور والفرنسيون أثناء ذلك قاتلوا جنود الامبراطور فى وادى نهر (الرين) والجهات الغربية من جرمانيا وهزموهم وتمكنوا من الانضمام الى الجنود السويدية ثم حمى وطيس الحرب وقام القائد الفرنسى الكبير (مارشال تورِنْ) باعمال حربية كبرى علمت الامبراطور انه لا يجنى من وراء الحرب فائدة وفى خلال هذا النصر جاءت الاخبار بامضاء معاهدة (وِستفَالْيا). فكف المتحاربون عن القتال وانتهت حرب الثلاثين سنة

معاهدة وستفاليا ١٦٤٨ م

وبمعاهدة وستفاليا

١ — صار البروتستانت والكاثوليك سواء فيما يتعلق بحرية العقيدة الدينية

٢ — وصار لكل من أمراء الولايات الجرمانية حق محاربة غيره والتحالف معه

٣ — وضعف نفوذ الامبراطور فأصبح يهتم بالنمسا اذ لم يبق له نفوذ فعلى فى غيرها

٤ — وتفككت جرمانيا ولم تعد فرنسا تخشى بأسها ومازالت متفرقة حتى اجتمعت فى القرن التاسع عشر وتكونت منها دولة ألمانيا الحالية

٥ — واستولت السويد على أملاك فى شمال جرمانيا

٦ — واستولت فرنسا على جهات كثيرة فى وادى (الرين) وأخذ نفوذها فى أوربا يقوى

٧ — واستقلت هولاندا وسويسرا

﴿ النزاع بين الملكيين والبرلمانيين فى انجلترا ﴾

فى أوائل القرن السابع عشر (١٦٠٣ م) ضمت انجلترا الى اسكوتلاندا فصارتا تحت ملك واحد وذلك بأن صار (جيمس السادس) ملك اسكوتلاندا ملكا على انجلترا أيضاً (فهو جيمس الأول ملك انجلترا) وجيمس هذا من أسرة اسمها أسرة (ستيُوَرْت) كانت هى الحاكمة فى انجلترا فى القرن السابع عشر

وقد استبد ملوك هذه الأسرة وأطلقوا لنفسهم التصرف في البلاد فكان ذلك سببا فى نزاع طويل قام فى ذلك القرن

بين الملكيين وهم أنصار الملك وبين البرلمانيين وهم ممثلو الأمة وانتهى بفوز البرلمانيين وتأسيس الحكومة النيابية فى انجلترا

بدأ هـذا النزاع فى زمن (جيمس الأول) وخلفه ابنه (تشارلس الأول) فسار سيرأبيه ~~واضطهد فى أيامه البروتستانت واكرهوا على اعتناق الدين الكاثوليكى دين الحكومة الرسمى حتى اضطر آلاف منهم الى الهجرة من انجلترا الى أمريكا فرارا هربا من الاضطهاد وشارلس كان منهم فى اسكوتلاندا~~

وكانت نتيجة هذا النزاع بين الملك والأمة حرب داخلية اشتعلت نارها سنة ١٦٤٣ م وكان زعيم المحاربين للملك قائد انجليزى اسمه (كرُمْوِل) تمكن بجنوده المدربة من الانتصار على جنود الملك وأسر تشارلس الأول (١٦٤٩م) وحكم عليه بالاعدام فأعدم فى عاصمة انجلترا علنا وصارت الحكومة جمهورية غير أن أهل اسكوتلاندا وأهل (اولاندا) انتصروا للملك حتى جعل ابنه (تشارلس الثانى) ملكا على اسكوتلاندا ولكن (كرمول) تغلب على الارلانديين وهزم جنود تشارلس الثانى ففر تشارلس الى فرنسا ولقى من ملكها لويس الرابع كل حفاوة واكرام .

ثم صار (كرمول) المسيطر على الجمهورية وسمى حاميها وخلفه ابنه ولم يكن لذلك أهلا فتنازل وكانت مدة الجمهورية اثنتى عشرة سنة بعدها عاد (تشارلس الثاني) فجلس على عرش الدولة وأعيدت الملكية وبقيت أسرة (ستيورت) حاكمة حتى خلفتها فى القرن الثامن عشر الأسرة (الهنفرية) وهى الأسرة المالكة الحالية فى انجلترا

﴿الحوادث المتعلقة بفرنسا﴾

جلس على عرش فرنسا فى القرن السابع عشر (هنرى الرابع) و(لويس الثالث عشر) و(لويس الرابع عشر)

أما الأول فتوفى فى أوائل القرن (١٦١٠ م) وجاء بعده لويس الثالث عشر وفي عهده كانت مقاليد الأمور الفرنسية فى يد سياسى كبير كان فى ذاك العصر أكبر ساسة أوربا على الاطلاق وكان لا ترد له كلمة فى فرنسا واسمه (كَرْدِنال رِشليو)

سياسة رشليو

رمى رشليو فى سياسته الي ثلاثة أغراض نجح فيها جميعا

١ — القضاء على كل نفوذ سياسى للبروتستانت فى فرنسا

وكانوا يسمون (الهيوجينو)

٢ — انتزاع كل نفوذ من الأشراف وجعل الملك صاحب السلطان المطلق فى البلاد

٣ — اعلاء مركز فرنسا حتى تصير أكبر الدول الأوربية

الهيوجينو — أما الهيوجينو فثاروا عقب ان قبض رشليو على أزمة الحكم وتحصنوا فى مدينتهم المنيعة (لاروشل) يبغون بذلك الاستقلال ولكن رشليو حاصرها حتى اضطرت الى التسليم سنة ١٦٢٨ م وبذلك فشل الهيوجينو فيما حاولوه من الاستقلال

الاشراف — وأما الأشراف فأمر رشليو سنة ١٦٢٦ م بأن تهدم قلاعهم التى كانت لهم منذ أيام سطوتهم فى حكومات الاقطاع لأن وجود تلك القلاع مع الأشراف كان يذكرهم سلطانهم القديم ويجعل لهم نفوذاً على الجهات المجاورة لهم ويعينهم على تهديد الملك ثم جعل رشليو يعامل كبارهم بكل شدة ويعاقب كل من ناوأ الملك بالقتل وغيره حتى لم يبق للأشراف فى البلاد حول ولا طول

وأما اعلاء مركز فرنسا فسعى فيه بسياسته فى حرب الثلاثين سنة (راجع حرب الثلاثين سنة ص ٣٤)

ومات رشليو سنة ١٦٤٢ م ومات في العام التالي لويس الثالث عشر وخلفه ابنه لويس الرابع عشر

عصر لويس الرابع عشر

جلس لويس الرابع عشر على عرش فرنسا سنة ١٦٤٣ م ومات في أوائل القرن الثامن عشر (١٧١٥ م) بعد ان حكم اثنتين وسبعين سنة وعصره من العصور الجليلة في فرنسا وفي أوربا لأنه العصر الذي بلغت فيه فرنسا غاية القوة وهددت سائر الممالك الأوربية

ووزر فرنسا وصاحب الكلمة فيها في الجزء الأول من حكم لويس الرابع عشر رجل ايطالي من أصدقاء (رشليو) وهو (كردنال مزرن) وكانت مدة وزارته من سنة ١٦٤٣ الى سنة ١٦٦١ م ولما مات قبض لويس نفسه على أزمة الحكم وبقي طول حياته حاكما مطلقاً يتصرف في ادارة الحكومة وفي سياسة البلاد كيف شاء ومن المأثور عنه في ذلك قوله الحكومة أنا

ومن أجل الرجال الذين خدموا فرنسا في عصر لويس الرابع عشر (كلبير) و(فوبان) أما الأول فصاحب الايادي البيضاء في ازدياد ثروة البلاد وتحسين ماليتها وترقية تجارتها

وصناعتها وبحريتها وأما الثانى فأمهر مهندسى فرنسا وله أعمال جليلة فى الأمور الحربية بالدولة فى ذلك العصر إذ أتقن طرق تحصين المدن ومهاجمتها والدفاع منها وحصن مئات من قلاع الدولة القديمة وأنشأ لها قلاعا جديدة

ولما رأى لويس الرابع عشر ما توفر لديه من مال وثروة ورجال وقوة شرع فى حروبه التى أراد بها اتساع الدولة الفرنسية وأهم هذه الحروب

١ — محاربته البلاد المنخفضة الاسبانية

٢ — محاربته هولاندا

٣ — محاربته الدول الأوربية المتحدة عليه لأول مرة

٤ — محاربته الدول الاوربية المتحدة عليه ثانى مرة

٥ — محاربته الدول الأوربية فى حرب الوراثة الاسبانية

(انظر حوادث القرن الثامن عشر)

محاربة البلاد المنخفضة الاسبانية ١٦٦٧ م

أما محاربة البلاد المنخفضة الاسبانية فكانت سنة ١٦٦٧ م وسببها أن لويس الرابع عشر ادعى أن له الحق فى الاستيلاء على تلك البلاد (بلجيقا الآن) وذلك بعد وفاة حميه (فيليب الرابع) ملك أسبانيا وكانت الجيوش الفرنسية تحت قيادة

(تورن) فما لبث أن استولى على مدينة (ليل) وغيرها من الحصون وانتهت الحرب بمعاهدة فى (إكس لاشبل) تعهد فيها لويس بان لا يطلب الاستيلاء على تلك البلاد ولكنه أخذ ما استولى عليه من الحصون فعادت تلك الحروب بالفائدة على فرنسا

محاربة هولاندا ١٦٧٢ م

وكانت هولاندا فى ذلك العصر أى أواسط القرن السابع عشر قد بلغت الغاية القصوى فى القوة البحرية وأراد لويس الرابع عشر أن يسلبها استقلالها ويضمها الى أملاكه وساعده على ذلك (تشارلس الثانى) ملك انجلترا ففى سنه ١٦٧٢ م زحفت الجنود الفرنسية على هولاندا واستماتت الهولانديون فى الدفاع وأعانهم على ذلك عزيمة سياسيهم (وليم اميرأُرَنج) الذى صار بعد ذلك ملك انجلترا وسمى (وليم الثالث) ومما ساعدهم على رد الفرنسيين عن بلادهم قطعهم الجسور حتى عم ماء البحر البلاد واضطر الجيش الفرنسى الى عدم التقدم فى سيره ثم لم يجد بدا من الانسحاب من هولاندا

اتحاد الدول الاوروبية على لويس ١

وفى سنة ١٦٧٤ م كون اتحاد ضد لويس الرابع عشر من الامبراطور وملوك أسبانيا والدانمارك وهولاندا ونشبت الحرب بينهم وبين فرنسا واستمر القتال الى سنة ١٦٧٨ م

فى شمال فرنسا وفى شرقيها وكان يقود الجنود الفرنسية القائدان (تورن) و (كُنْدِى) أما الجنود المتحدة فكان يقودها قائد ايطالى كبير اسمه (مُنْتِكُكُلِى) و (وليم امير أرنج) وبقيت الحرب سجالا بين الطرفين حتى انتهت بصلح (نِمجِيُون)

وقد زادت هذه الحرب فى سمعة فرنسا وأملاكها وقوتها لانها استولت على حصون ومدن فيما يليها من الشمال ومن الشرق ولذا ذاع صيتها فى أوربا وبلغ لويس الرابع عشر ذروة مجده وغاية قوته

اتحاد الدول على لويس ٢

وفى سنة ١٦٨٩م صار (وليم ارنج) ملكا على انجلترا فعلا شأنه وكان أكبر أعداء لويس الرابع عشر وأشدهم وقوفا فى سبيل تحقيق آماله الكبيرة في الفتح ولذا بذل قصارى جهده فى مقاومة سياسته وكان في مقدمة اتحاد أوربي عام ضد فرنسا دخلت فيه انجلترا وأسبانيا وهولاندا والسويد والامبراطورية و (سافوى) وغيرها

وكانت بينهم وبين فرنسا حرب استمرت ثمانى سنين وانتهت بصلح فى (رزوك) سنة ١٦٩٧ م وتخلى المتحاربون عما استولوا عليه غير أن فرنسا بقيت مالكة لبعض ما استولت عليه

وكانت نتيجة تلك الحروب الطويلة أثقال كاهل فرنسا بالنفقات ونقص موارد ثروتها ومع ذلك لم يكف لويس الرابع عشر عن الحرب بعد صلح « رزوك » بل أخذ يتأهب لحرب أخرى كبيرة دخل في غمارها وهى حرب الوراثة الأسبانية (انظر حوادث القرن الثامن عشر)

(ب) — أهم حوادث أوربا فى القرن الثامن عشر

﴿ حرب الوراثة الاسبانية ﴾

حرب الوراثة الاسبانية حرب كبرى قامت فى أوائل القرن الثامن عشر بين فرنسا والنمسا والمنتصرين لهامن الدول الأوربية كانجلترا وهولاندا وغيرهما واستمرت اثنتى عشرة سنة (١٧٠٢ — ١٧١٣م) فى فلندرز وجرمانيا وايطاليا واسبانيا

وسبب هذه الحرب الخلاف على من يكون ملك أسبانيا بعد وفاة ملكها (شارلس الثانى) لانه كان لاعقب له

مرض شارلس الثانى وظن أنه على وشك الموت فاراد لويس الرابع عشر أن تكون أسبانيا لابنه وأراد (منتخب

بافاريا) أن تكون أسبانيا لابنه وأراد الامبراطور أن تكون لابنه وكل من هؤلاء كان يرى لنفسه حق حكم أسبانيا لما بينه وبين ملكها من صلة القرابة

ولكن شارلس الثانى عوفى وأوصى أن تكون املاكه كلها لمنتخب « بافاريا » وهذا مات بعد يسير وعاد الاضطراب كما كان وبينما الدول تفكر فى حل المشكل مات شارلس نفسه وأوصى بأملاكه لحفيد لويس الرابع عشر واسمه (فيليب دوق أنجو) فنودى به ملكا على أسبانيا وسمى فيليب الخامس فقال لويس الرابع عشر فاخرا اليوم لا برانس يعنى ان تلك الجبال أصبحت كأن لا وجود لها وأن فرنسا واسبانيا اصبحتا مملكة واحدة وكانت هذه أمنية كبرى له لما فيها من رفع شأن فرنسا ولذا أراد أن يكون حفيده ملك اسبانيا ملكا على فرنسا أيضاً بعد وفاته

لذلك غضبت النمسا وادعت ذلك الحق لابن امبراطورها وتأهبت للحرب وكون اتحاد أوربى ضخم كما قدمنا انتصاراً للامبراطور على لويس الرابع عشر فكانت الحرب فى الجهات التى ذكرناها

الحرب فى فلندرز

وقام بالحرب فى فلاندرز القائد الانجليزى المعروف

(مَرْلبَرا) فأخذ حصونا كثيرة وهزم الفرنسيين والبافاريين بقيادة المارشال (فِلرُوى) فى وقعة (رَمِلز) سنة ١٧٠٦ م وفى سنة ١٧٠٨ م هزمهم فى (اودِنارْد) هو و (يوجين أمير سافوى) وكان قائد الفرنسيين دوق (فَندوم) وفى سنة ١٧٠٩ م انتصر (مرلبرا) و (يوجين) فى وقعة (مَلبَلاَكى) انتصاراً باهراً على القائدين الفرنسيين المارشال (فلاَر) والمارشال (بوفلير)

واكبر وقائع هذه الحرب وقعة (بلنهيم) سنة ١٧٠٤ م وفيها انتصر (مرلبرا) و (يوجين) على (تَلاَر) و (مارْسَن) فانقذا جرمانيا من الفرنسيين واثبتا تفوق الجنود المتحدة على جنود فرنسا

وفى ايطاليا كان النصر للمتحدين أيضاً ولكن الفرنسيين كان الفوز لهم فى اسبانيا فبقى (فيليب الخامس) ملكا عليها

معاهدة يترخت ١٧١٣ م

ثم انتهت هذه الحرب سنة ١٧١٣ بمعاهدة (يُترخت) التى قضت بان لا تضم فرنسا الى اسبانيا بعد وفاة لويس الرابع عشر وهذا أهم ما كانت الدول الاوربية تبغى

هذه الحرب كانت خاتمة عصر لويس الرابع عشر فانه توفى سنة ١٧١٥ م

﴿ نهضة بروسيا ﴾

مملكة بروسيا الحالية أصلها ولاية من ولايات جرمانيا اسمها (بَرَنْدِنْبُرْج) وهى الولاية التى فيها مدينة برلين وفى القرن الخامس عشر بعد الميلاد صار حاكمها المنتخب أحد أفراد اسرة اسمها اسرة (هوهنْزُلِرْن) نسبة الى أحد أقسام امبراطورية المانيا وهى الأسرة المالكة فى ألمانيا حتى الآن

أما بروسيا فاصلها اقليم فى الشمال الشرقى من (بوندبرج) وبه سميت المملكة الحالية

ومن هذين الاقليمين (بوندبرج) و(بروسيا) تكونت مملكة بروسيا التى نهضت نهضتها الكبرى فى القرن الثامن عشر

وذلك ان أسرة (هوهنزلرن) صارت حاكمة مقاطعة بروسيا من قبل بولاندا فى أوائل القرن السابع عشر بعد الميلاد ثم فى عهد (فردريك وليم) الذى كان يلقب بالمنتخب الاكبر فصل اقليم بروسيا عن بولاندا (١٦٥٧م) فكانت هذه الحادثة

مبدأ عظمة بروسيا

وفى سنة ١٧٠٠ م صار ابن المنتخب الاكبر ملك بروسيا وهو (فردريك الأول) وجاء بعده ابنه (فردريك وليم) المعروف بتدريبه جيشاً كبيراقويا يفوق سائر الجيوش الأوربية نظاما فانتفع بهذا الجيش ابنه (فردريك الثانى) الملقب بالأكبر فى نهضته ببروسيا فى القرن الثامن عشر نهضة جعلتها فى مقدمة الدول الاوربية ولا سيما فى الفنون الحربية

جلس فردريك على عرش بروسيا وهى لا يزيد سكانها عن مليونى نفس فضم اليها بلادا يبلغ سكانها الأربعة الملايين وجعل لها مالية حسنة وجيشا كبيراً مدربا وسمعة جميلة فى القوة الحربية والحركة العلمية وشجع فيها الزراعة والصناعة والتجارة ونظم الشرائع كل ذلك بما بذله من الهمة فى رفع شأن بلاده

وأكبر الحوادث التى اشترك فيها فردريك وأظهر قوته وقوة بلاده حرب الوراثة النمسوية وحرب السبع السنوات

حرب الوراثة النمسوية ١٧٤٠–١٧٤٨م

أما حرب الوراثة الاسبانية ويقال لها حرب الثمان السنوات فسببها أنه لما مات الامبراطور شارلس السادس

النمسوى (١٧٤٠ م) خلفته ابنته (ماريا تريزا) على املاكه الخاصة به بموافقة الدول الاوربية وبقى منصب الامبراطورية دون ان ينتخب له أحد وشجر الخلاف بين من يرون انهم يستحقونه وتداخلت الدول الاوربية فى الامر وانضم الى النمسا انجلترا وهولاندا فقامت الحرب بين هؤلاء وبين بروسيا وفرنسا وأسبانيا وبافاريا وغيرها

بدأت الحرب باغارة فردريك ملك بروسيا على اقليم (سيليزيا) من أملاك النمسا (١٧٤٠ م) ولم تستطع الجنود النمسوية ثباتا أمام جنود بروسيا فاستولى فردريك على هذا الاقليم وانتهت الحرب بمعاهدة (اكس لاشبل) سنة ١٧٤٨م التى قضت ببقاء (ماريا تريزا) ملكة على النمسا وبأن يكون زوجها امبراطور جرمانيا ولم تستفد من هذه الحرب دولة غير بروسيا

معاهدة اكس لاشبل ١٧٤٨ م

هذا وقد كان من نتائج هذه الحرب انتقالها الى حرب بين فرنسا وانجلترا فى مستعمراتهما كانت نتيجتها استيلاء انجلترا على مستعمرات فرنسا .

أما حرب السبع السنوات فاتحدت فيها النمسا وفرنسا والروسيا وسكسونيا والسويد على بروسيا بقصد القضاء عليها

حرب السبع السنوات ١٧٥٦–٦٣م

واتقاء شرها لما رأوا من نهضتها العجيبة التى أوقعت الرعب فى قلوبهم ومع كون فردريك وحيداً أمام كل هؤلاء داردفة الحرب بمهارة وعزيمة ماضية وخرج منها سالما مع كثرة مالاقى من الاهوال اذ قصت معاهدة (هبرتسبرج) التى انتهت بها الحرب بان تبقى (سيليزيا) مع فردريك ولم تستفد الدول المشتركة فى هذه الحرب شيئاً الا بروسيا فانها أصبحت بعدها من الدول الاوربية الكبرى

معاهدة هبرتسبرج ١٧٦٣ م

﴿ تقسيم بولاندا ﴾

كانت بولاندا فى القرون الوسطى من الدول الأوربية ذات الشأن ولكنها أخذت فى الاضمحلال وفى القرن الثامن عشر ساد بين أهلها الشقاق وعدم الوئام وانتشرت الفوضى فى الحكومة حتى ضعفت البلاد فاتفق ملوك الدول المحيطة بها وهم (فردريك الأكبر) ملك بروسيا و(كاترين الثانية) ملكة الروسيا و(ماريا تريزا) ملكة النمسا على اقتسامها وكان اقتسامهم اياها على ثلاث مرات الأولى سنة ١٧٧٢ م وهى التى أكرهت

بولاندا على قبولها بعد ان اتفقت عليها الدول الثلاث سراً والثانية سنة ١٧٩٣ م وفيها أكرهت الروسيا بسلاحها رجال الحكومة البولاندية على قبول تجزئة بلادهم وقام فى البلاد حزب لحمايتها برئاسة أحد أبطال البولانديين واسمه (كُشْيُوسْكُو) وحاربوا أعداءهم وأظهروا من البسالة والشهامة مايستحق الاعجاب غير ان ذلك لم يجدهم نفعاً أمام القوة المادية المحيطة بهم والثالثة سنة ١٧٩٥ م وكانت القاضية على استقلال هذه المملكة فلم يبق لها فى العالم وجود وأكره آخر ملوكها على التنازل عن ملكه وقضى باقى أيامه فى الروسيا يتناول مرتباً من حكومتها الى ان مات سنة ١٧٩٨ م

﴿ الثورة الفرنسية ﴾

الثورة الفرنسية ثورة هائلة حدثت فى فرنسا سنة ١٧٨٩م ويقال لها الثورة الفرنسية الكبرى وهى أكبر حوادث التاريخ الحديث لما كان لها من الآثار الخطيرة فى العالم وسببها الجوهرى سوء الحكومة فى فرنسا

اشتعلت نارهذه الثورة على عهد ملك فرنسا (لويس السادس عشر) وزوجته (مارى انتوينت) وفى أواخر سنة ١٧٨٩ م قبض الثوار على الملك والملكة وسجنوهما فى باريس فحاولا الفرار سنة ١٧٩٠ م ولكنهما لم يفلحا بل قبض عليهما وأعيدا الى باريس

وبهذه الثورة ألغيت الملكية وأقيمت مقامها حكومة الجمهورية ثم فى سنة ١٧٩٣ م حكم على الملك والملكة بالاعدام

وفى سنة ١٧٩٤ م هدأت نار الثورة وعهدت ادارة البلاد (١٧٩٥ م) الى خمسة رجال عرفت حكومتهم باسم الادارة

﴿ الحملة الفرنسية فى مصر ﴾

١٧٩٨ — ١٨٠١م

فى خلال الثورة الفرنسية ظهر نابليون بونابرت القائد الفرنسى الكبير الذى صار فيما بعد امبراطور فرنسا وملا أوربا حروبا وفتح معظم ممالكها وهو الذى ناطت به

الحكومة الفرنسية قيادة الحملة التى فتحت مصر سنة ١٧٩٨م

والسبب الجوهرى فى تجريد هذه الحملة رغبة الحكومة الفرنسية فى أخذ الهند من انجلترا والقضاء على مركز تلك الدولة فى الهند وفى الشرق وساعد على هذه الحملة نابليون نفسه لانه كان كثير الميل الى مد فتوحه فى الشرق والاستيلاء على مصر لما لموقعها من الأهمية ولما فيها من الخيرات

وفى أيام الحملة الفرنسية كانت حكومة مصر فى يد رجلين من المماليك هما مراد بك وابراهيم بك

ولما وافقت الحكومة الفرنسية على مسير نابليون الى مصر أصدرت أمرها بأعداد الحملة فى مارس سنة ١٧٩٨ م وبعد شهرين خرجت تلك الحملة الضخمة من تولون وغيرها من موانى فرنسا الجنوبية وكان فيها عدد من كبار العلماء الذين كانت لكتاباتهم عن مصر فائدة جليلة

سار نابليون من شواطئ فرنسا الى جزيرة مالطه فأخذها من رهبان القديس يوحنا ولما علمت انجلترا بخروج هذه الحملة من فرنسا ولم تعرف وجهتها لمبالغة الحكومة الفرنسية فى كتمان أمرها أمرت قائدها البحرى الشهير (نلسن) بان

يبحث عنها ويدمرها اذا استطاع فأدرك أنها تقصد مصر فقصدها ومر قريباً من مالطه ونابليون بها ولكنه لم يعثر على الاسطول الفرنسى فسار الى الاسكندرية ووصلها ثم أقلع منها قبل أن يصلها نابليون

وبعد زمن يسير من سفر الاسطول الانجليزى جاءت الحملة الفرنسية ونزلت الاسكندرية واحتل نابليون المدينة وأخذ يزحف بجنوده على القاهرة فسار معظم الجيش براً وسار جزء منه فى فرع رشيد ووصل الاول الى دمنهور ثم الى الرحمانية بعد مناوشة مع المماليك فى الطريق وبقى فى الرحمانية ينتظر القسم الآتى من رشيد بالنيل وما لبث هذا القسم ان وصل الى الرحمانية والتقى بنابليون وجنوده هناك

ومن الرحمانية سار الجيش الفرنسى نحو القاهرة يصحبه الاسطول فى النهر وسبقت السفن الجيش فى السير فالتقت بسفن حربية للمماليك ومعها جيش منهم على جانبى فرع رشيد وكانت معركة فى النيل دمرت فيها قوارب الفرنسيين ولحقتهم خسائر جمة

وعلم بونابرت بما حصل فاسرع فى السير ليساعد سفنه

ولكنه جاء بعد انتهاء المعركة وكانت بينه وبين جنود المماليك معركة برية عند (شبريس) هزم فيها المماليك فعادوا الى القاهرة مسرعين

واستمرت الحملة فى سيرها دون أن تلقى كبير مقاومة حتى قربت من القاهرة ولاحت لها الاهرام والمقطم فى يوليه وكان المماليك قد عسكروا عند امبابة بقيادة مراد بك فنشبت الحرب بين الفريقين وهزم المماليك وهذه الوقعة هى المعروفة عند المصريين بوقعة امبابة وعند الفرنسيين بوقعة الاهرام وكانت نتيجتها القضاء على قوة المماليك واستيلاء نابليون على القطر المصرى

وبعد وقعة امبابة فر مراد بك الى الصعيد وسار بونابرت الى الجيزة ومنها الى القاهرة حيث استولت جنوده على القلعة ونزل هو ببيت الألفى على شاطىء بركة الازبكية (حديقة الازبكية الآن)

أما نلسن فبعد مغادرته الاسكندرية علم بذهاب نابليون الى مصر فرجع الى الاسكندرية باسطوله ودمر اسطول نابليون فى خليج أبى قير وتسمى هذه الوقعة وقعة

أبي قير البحرية ويسميها الانجليز وقعة النيل وصار موقف الجنود الفرنسية في مصر حرجا لضياع اسطولهم الذى كان يمكنهم به الانتقال الى فرنسا عند الحاجة

ثم سار نابليون لفتح سوريا وبعد ان هزم الجنود العثمانية في يافا سار لمحاصرة عكا ولكنه ارتدعنها وعاد الى مصر والفضل في الدفاع عنها لقائد حاميتها وواليها احمد باشا الجزار والاميرال الانجليزى (سير سدنى سمث)

وفى سنة ١٧٩٩ م جاءت حملة عثمانية لاخراج الفرنسيين من مصر فسار اليها نابليون وهزمها فى وقعة برية عند أبى قير

ثم علم نابليون باضطراب فى الحكومة الفرنسية وأتته رسائل تنبئه بشدة الحاجة اليه فغادر مصر الى فرنسا وترك عليها أحد كبار قواده وهو (كليبر) الذي قتل بعد ذلك بيد سورى

وفى سنة ١٨٠١ م أرسلت الدولة العثمانية حملة وأرسلت انجلترا أخرى لتعمل الحملتان معا على اخراج الفرنسيين من مصر وقام الجنرال (مينو) الذى خلف (كليبر) من القاهرة لمحاربتهم وكانت نتيجة ارسال تلك الحملة العثمانية الانجليزية

اخراج الفرنسيين من مصر (١٨٠١ م) وعادت مصر الى الدولة العلية

فأنت ترى أن الفرنسيين بعد أن قضوا نحو ثلاث سنوات فى مصر خرجوا منها ولم ينالوا شيئاً ولم تنل فرنسا من الحملة ما أرادت

وكان من أجل آثار الحملة ما كتبه علماؤها عن مصر واكتشاف أحد ضباطها حجر رشيد الذى كان مفتاح اللغة الهيروجليفيه وأساس معرفة كثير من تاريخ مصر القديم



تركيا فى القرن السابع عشر

فى القرن السابع عشر أخذت تركيا تفقد مجدها الذى نالتـه فى القرن السادس عشر وتخسر كثيرا من البـلاد التى استولت عليها أيام فتـوحها الـكبيرة وكان اكبر أعدائها فى أوربا فى هذا القرن النمسا والبندقية وبولاندا ولم تبد الدولة مقاومة لما أحاط بها من الاخطار الا فى عهد السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ — ١٦٤٠ م) وأيام أسندت الصدارة العظمى لافراد اسرة (كوبريلى) كما سترى

أول مابدا من اضمحلال الدولة فى هذا القرن معاهدة (زيدوه توروق) التى عقدت مع النمسا سنة ١٦٠٦ م فى عهـد السلطان أحمـد الاول بعـد حروب طويلة فان النمسا بهـذه المعاهدة كفتْ عن دفع الجزية للدولة

وبعد هذه المعاهدة ساد السلم زمنا فى الاملاك الشمالية للدولة ولم تكن حروب بينها وبين النمسا فى تلك الجهات لان النمسا كانت فى ذلك الوقت مشتغلة بحرب الثلاثين سنة فلم

تمكن من مناوأة الدولة والدولة لم تنتهز تلك الفرصة الجميلة التي سنحت لها وهي اشتغال النمسا وغيرها بحرب الثلاثين سنة ولو فعلت لكان من المحتمل أن تنال شيئا كثيراً وجمودها هذا عن الانتفاع بحرب الثلاثين سنة دليل على ما كان بها من الخمول في النصف الأول من هذا القرن ولا غرابة فان سلاطينها في هذه المدة كانوا ضعفاء الا السلطان مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠م) ولكنه مع نشاطه وقدرته الحربية وقوة بطشه سالم النمسا واشتغل بمحاربة الفرس

بعد السلطان مراد الرابع لم يكن للسلاطين شأن كبير في الدولة فانهم قبعوا في قصورهم وانهمكوا الا قليلا منهم فيما لا يعود عليهم وعلى بلادهم الا بالضرر وتركوا أمور الدولة لوزرائهم فاصبح مركز الدولة متوقفا على من تولوا الصدارة العظمى ان حسنوا حسن وان ساؤا ساء

وما زالت الدولة تأخذ في الضعف حتى اضطربت أمورها كل اضطراب سنة ١٦٥٦ م فماليتها على وشك الافلاس وجنودها منحطة وأشد ما لاقته في تلك السنة انهزام أساطيلها أمام أساطيل البنادقة واستيلاؤهم على الدردنيل والجزر القريبة منه وتهديدهم

دار الخلافة والدولة مع هـذا كله فى اضطراب لاتستطيع اصلاح الحال ولا رتق الخرق

فى هذه الازمة قيض للدولة افراد اسرة البانية ولوا الصدارةالعظمى وكانوا من القادرين المخلصين فأخذوا بناصر دولتهم وأوقفوا اضمحلالهالازمناأولئك افرادأسرة(كوبريلى) التى خدمت الدولة أجل خدمة فى القرن السابع عشر يوم لم يكن بها سلطان حازم ولا وزير قادر ولا رجل عامل

وأول صدر أعظم من هذه الأسرة كوبريلى محمد باشا (١٦٥٦م) الذى أعاد النظام الى البلاد بشدة لم يراع فيهاشفقة حتى قيل انه أمر بقتل ستة وثلاثين ألفا وتوفي سنة ١٦٦١ م وخلفه ابنه فاضل احمد كوبريلى (كوبريلى زادهأحمد)وكان يفوق أباه مقـدرة واسـتعداداً وفى وزارته حاربت الدولة النمسا وأتمت فتح كريد وحاربت بولاندا

دعت أحوال ترنسلفانيا الى دخول الدولة فى حرب مع النمسا وقاد الصدر الاعظم الجيش وسار الى الطونه وكانت بينه وبين جنود النمسا وقعة على نهر (الراب) تسمى وقعـة

(سان غوتار) سنة ١٦٦٤م نسبة الى كنيسة قديمة عندها كانت المعركة وساعد النمسا فى هـذه الوقعة جنود فرنسية أرسلها لويس الرابع عشر بعد أن توسط البابا فى ذلك وألح على لويس الرابع عشر كثيراً

وكان النصر فى هذه الوقعة لجنود النمسا وفرنسا بقيادة (منتكـكلى) غير ان الصلح بعد هذه الوقعة كان من مصلحة تركيا

وأما فتح كريد وأخذها من البندقية فكان سنة ١٦٦٩م (راجع السلطان سليمان ص٢٣) بعد أن قاومهم البنادقة نحوا من عشرين سنة وبعد أن حاصروها حصارا من اعجب مايذكر التاريخ

وأما الحرب مع بولاندا فسببها أن القوزاق الساكنين في اقليم (أو قرين) لخلاف بينهم وبين بعض جيرانهم دخلوا تحت حماية الدولة العثمانية وزعم ملك بولاندا أنهم من رعاياه فنشبت الحرب ولم تطل بل تم الصلح على أن تترك بولاندا اقليمى (اوقرين) و(بودوليا) غير أن أهل بولنـدا أبوا ذلك وساروا لمحاربه العثمانيين بقيادة (يوحناسبيسكى) فهزم العثمانيون

فى وقعتى (خوتين) أو (شكزم) سنة ١٦٧٣ م و (أيلبو) أو (لمبزج) سنة ١٦٧٥ م وكوفئ (سبيسكى) على هذا الانتصار بان جعله أهل بولندا ملكا عليهم

وخلف (كوبريلى أحمد) زوج اخته (قره مصطفى) ولم يكن من أسرة كوبريلى ولا كان مثلهم قدرة واستعدادا وأهم حوادث وزارته محاصرته ويانة والسبب فى ذلك أن رعايا النمسا من المجريين سئموا حكمها وثاروا على حاكمها (ليوبولد) فانتهز العثمانيون هذه الفرصة وأرادوا أن يستولوا على ويانه ليتم لهم ماحاولوه من القضاء على بيت (هابسبرج) فزحفوا على ويانه سنة ١٦٨٢ م وحاصروها وكادوا يفتحونها لولا أن أنقذها منهم (يوحنا سبيسكى) ملك بولندا وكانت بولاندا مع ضعفها فى القرن السابع عشر قد برقت فيها بارقة مجد فى حكم سبيسكى (١٦٧٤ - ١٦٩٦ م) فاستعانه الامبراطور وانضمت اليه جنود أخرى من أوربا وفيهم (يوجين أمير سافوى) وتولى القيادة العامة (سبيسكى) وهزم العثمانيين هزيمة كبرى فرفعوا الحصار وعادوا الى بلادهم ولم يعودوا بعدها يفكرون فى فتح النمسا وما وراءها من البلاد الأوربية وكان نجاح (سبيسكى)

هذا سببا في رفع مقامه بين الدول الأوربية كلها واعلاء صيته حتى سموه منقذ النصرانية وعدّوه من فحول القواد

بعد ذلك تألبت النمسا وبولندا والبندقيـة على الدولة واخذوا يهاجمونها فاستولت البندقية على المـوره (١٦٨١ م) وأخذت النمسا وحلفاؤها يستولون على المجر وهزموا العثمانيين شر هزيمـة فى موهاج (١٦٨٧ م) حيث انتصر سليمان أجل انتصار من قبل وأخـذوا بلغراد (١٦٨٨ م) وتمت هزيمـة العثمانيين بوقعة (زِنْتا) فى جنوب المجر (١٦٩٧ م) وكان القائد المسيحى فيها (يوجين أمير سافوى)

وختمت حوادث تركيا فى القرن السابع عشر بمعاهدة قارلوفجه (كَرْلُوِتْز) سنة ١٦٩٩ م وهى من أهم المعاهدات فى تاريخ هذه الدولة وبها

١ — استولت النمسا على المجر وترنسلفانيا

٢ — أخذت البندقية المورة

٣ — أخذت بولندا اقليم بودوليا

٤ — أخذت الروسيا قلعة أزاق (أزوف)

نهضة الروسيا

بدأت مملكة المسكوف أو الروس في القرن التاسع بعد الميلاد وكان يحكمها رئيس قبيلة من (اسكندناوه) اسمه (روريك) أتى من بلاده وأخضع القبائل الروسية وجعل عاصمته (نفجرد) وبقى الملك فى اعقابه الى آخر القرن السادس عشر

وفى عهد أسرة (روريك) هذه أغار التتار فى القرن الثالث عشر على الروسيا كما أغاروا على بغداد وغربى آسيا وكانت لهم دولة في قازان وبقيت الروسيا خاضعة للتتار نحو قرنين كانت فيهما البلاد مقسمة ولايات عليها أمراء مختلفون وكلهم يرجعون فى شؤونهم الى خان التتار فتفككت لذلك الروسيا وضاعت وحدتها وبقيت كذلك الى أواسط القرن الخامس عشر

وفى النصف الأخير من هذا القرن قام أحد الامراء واسمه (إوَانْ وَسيلُوِتْزْ) ويلقب ايوان الثالث فقاتل التتار واستولى على عاصمتهم قازان وأخذ البلاد من التتار وضم البلاد

الروسية بعضها الى بعض فقويت الدولة وسارت فى سبيل الرقى الى أن انقرضت أسرة (زوريك)

وبعد انقراض هذه الأسرة كانت فترة اضطراب قصيرة قامت فيها حروب داخلية بين المتطلعين الى الملك واستمرت الى أن ولى ملك الروس في أوائل القرن السابع عشر (١٦١٣ م) أسرة (رومانوف) وهى الأسرة التى منها قياصرة الروس الى اليوم والتى فى عهدها نهضت الروسيا نهضتها الكبرى فى القرن السابع عشر وما بعده

والقيصر الذى له الفضل فى اعلاء مركز الروسيا وجعلها من الدول الاوربية العظمى هو الرجل الذائع الصيت بطرس الاكبر (١٦٨٩ ـ ١٧٢٥ م)

بطرس الاكبر
١٦٨٩ـ١٧٢٥م

ولى هذا الرجل الغريب ملك الروسيا وهي لا منفذ لها على البحر الاسود ولا على البلطيق لان الاول كان فى يد الاتراك والثاني كان فى يد السويديين ولم يكن للروسيا من الثغور البحرية الا (أرْكَنْجِلْ) وهي لا تفى بالغرض لتجمد مياهها فى جزء كبير من السنة

لذلك كان أول اغراض بطرس أن يحصل على ثغور

بحرية وينشئ أسطولا لدولته حتى تصير دولة بحرية فحارب تركيا وهزمها واستولى على مدينة (ازاق) كما رأيت فى معاهدة (قرلوفچه) غير ان تركيا حاربته مرة أخرى وأخذت منه هذه المدينة فى معاهدة اسمها معاهدة نهر (بروت) سنة ١٧١١ م (راجع تركيا والروسيا فى القرن الثامن عشر)

ثم أخذ بطرس يسعى فى الحصول على ثغور من ثغور البلطيق ولم يكن لذلك سبيل سوى محاربة السويد. وقد نجح فى محاربتها كل النجاح وقامت عظمة الروسيا على انقاض السويد

وكان ملك السويد فى ذاك الوقت (شارلس الثانى عشر) ولى الملك وهو شاب (١٦٩٧ م) فاتحدت عليه الروسيا والدانمارك وبولاندا فهزمهم وانتصر على جنود بطرس فى وقعة (نَارْوَا) سنة ١٧٠٠ م ثم انتصر بطرس على جنود السويد ووضع أساس عاصمته الجديدة (بطرسبرج)

ثم أخذ شارلس الثانى يغزو الروسيا ولحسن حظها فشل فى غزوها ولو نجح لقضى على قوتها وحال بينها وبين الرقى

الذى كانت تسعى اليه

لم يقصد شارلس فى غزوته عاصمة الروسيا (مُسْكُو) بل سار الى الجنوب قاصدا اقليم (أوقرين) فدمر بطرس البلاد التى فى طريقه وتركه تحت رحمة مناخ الروسيا وطول المسافات التى قطعها

وفى سنة ١٧٠٩ م كانت بين بطرس وشارلس وقعة فاصلة فى (بَلطَاوَا) وفر شارلس الى بلاد الدولة العلية وأمنت الروسيا جانب السويد ولبث شارلس فى تركيا بضع سنين يحاول ان تنصره تركيا ثم عاد الى بلاده سنة ١٧١٤ م وقتل فى وقعة مع النرويج (١٧١٨ م)

ومن أعمال بطرس سياحته الى أوربا للوقوف على مابها من الحضارة لكى يدخل ماشاء منها فى بلاده وفى هذه السياحة أقام بهولاندا (١٦٩٧ م) يشتغل في صنع السفن كغيره من العمال ويتناول مرتبا كما يتناولون ثم انتقل الى انجلترا (١٦٩٨ م) ولقى من ملكها وليم الثالث كل اكرام وفى عودته الى الروسيا نزل بويانة يدرس نظام الجيش وأخذ معه الى الروسيا من ينتفع بهم من الأوربيين كما انه ارسل

كثيراً من الروسيين الى البلاد الاوربية الراقية ليدرسوا احوالها

ولما عاد قضى على ثورة قام بها الحرس الملكى وكان يسمى (استرليتز) وهم جنود أهملوا واجبهم العسكرى وأخذوا يتداخلون فى أمور الدولة فهم كالمماليك واليتشارية والاتراك الموالى والحرس البريتورى

ولما قضى بطرس على قوتهم استبدلهم بجيش منظم على الطريقة الاوربية فى ذاك الوقت

وبالجملة أصلحت أحوال الروسيا الداخلية كثيراً فى عهد هذا القيصر الذى لم يأل جهدا فى ادخال المدنية الاوربية الى بلاده مع مالاقى من جمود قومه وتمسكهم بكل قديم فهو بلا مراء واضع أساس نهضة الروسيا ورقيها



تركيا فى القرن الثامن عشر

مازالت تركيا آخذة فى الاضمحلال والروسيا آخذة فى الرقى أثناء القرن الثامن عشر لذلك كثرت الحروب بين الدولتين وتطلعت الروسيا الى الاستيلاء على أملاك الدولة وعلى القسطنطينية وأخذت الدول الاوربية تداخل بين الدولتين وتنتصر لتركيا خوفا من ازدياد قوة الروسيا واخلالها بالتوازن الدولى وهذه الحالة هى المعروفة عند المؤرخين بالمسئلة الشرقية فالمسئلة الشرقية اذن بدأت فى القرن الثامن عشر وسنرى انها استفحلت فى القرن التاسع عشر وصارت من المسائل الكبرى

وقد كان بين تركيا والروسيا فى القرن الثامن عشر أربع حروب:

١ ـــ الحرب التى انتهت بمعاهدة بروت (١٧١١ م) وهذه كانت فى زمن بطرس الأكبر والسلطان أحمد الثالث

٢ ـــ الحرب التى انتهت بمعاهدة بلغراد (١٧٣٩ م)

وهـذه كانت فى زمن قيصرة الروسـيا (آن) والسلطان محمود الاول

٣ — الحرب التى انتهت بمعاهدة (كوچك قينارچه) سنة ١٧٧٤ م وهذه كانت فى زمن قيصرة الروسيا (كاترين) وزمن السلطان مصطفى الثالث والسلطان عبد الحميد الأول

٤ — الحرب التى انتهت بمعاهدة (ياش) سنة ١٧٩٢م وهـذه كانت فى زمن كاترين أيضاً والسـلطان سليم الثالث

والسبب فى الحرب الاولى مساعى شارلس الثانى لدى الباب العالى بعـد ان هزم فى (بلطاوا) وقد بذل شارلس الجهد وأعمل الحيلة وسعى بكل وسيلة فى حمل الدولة على اعلان الحرب على الروسيا أملا فى الانتقام من عدوه بطرس الأكبر فخابت مساعيه لدى الباب العالى فى أول الامر ثم نجح وكانت الحرب (١٧١١م) وكان يقود الجنود العثمانيـة الوزير (بالطه جى محمد باشا) والتقى ببطرس الاكبر على نهر (بروت) وأحاطت الجنود العثمانية ببطرس وجنوده حتى صاروا فى قبضة العثمانيين

وأيقن بطرس ومن معه أنهم هالكون وفى هـذه الازمة لم ينقذه الا حمق الوزير وحيلة القيصرة فانها عمدت الى ما معها هى ووصيفاتها من الجواهر فأهدتها الى (بالطه جى) وطلبت الصلح فقبل الرشوة ووافق على الصلح وأضاع هذه الفرصة الثمينة التى سنحت له وحضر شارلس الثانى الى ميدان القتال فوجد الصلح قدعقد وكاد يتميز من الغيظ وما زال يقنع الباب العالى بأن الوزير قدخان حتى عزله وأهم شروط صلح (بروت) تنازل الروسيا عن قلعة ازاق وتدميرها القلاع التى على حدود الدولة وهى شروط فى مصلحة تركيا ولكنها أنقذت قيصر الروس من الورطة التى وقع فيها

الحرب الثانية

والسبب فى الحرب الثانية انتصار الدولة العثمانية لبولاندا وفى هذه الحرب اشتركت النمسا مع الروسيا فى محاربة تركيا وانتصر العثمانيون على النمسويين فى وادى الطونة وانتصروا على اسطول الروسيا فى بحر ازاق فكان هذا الانتصار سبباً فى عقد معاهدة بلغراد وبها

١ — أخذت الدولة بلغراد من النمسا واستردت كثيراً من البلاد التى فتحتها الروسيا

٢ — واشترطت على الروسيا أن تهدم قلاع أزاق ولا تجددها في المستقبل

٣ — وأن لا تكون لها بالبحر الاسود سفن حربية ولا تجارية

فهذه المعاهدة حفظت كرامة الدولة وزادت رغبة الروسيا في الانتقام منها

الحرب الثالثة

وسبب الحرب الثالثة الانتصار لبولاندا ايضاً وبعد أن استمرت الحرب سجالا عدة سنين انتصر القائد الروسى (رومانزوف) على العثمانيين فاضطرهم الى عقد معاهدة (قينارجه) سنة ١٧٧٤ م وبها

١ — استقلت القريم

٢ — واستولت الروسيا على موان فى البحر الاسود وبحر أزاق وصار لها حق الملاحة في المياه العثمانية والخروج الى البحر الابيض من طريق الدردنيل

٤ — وصار للروسيا شيء من حق التداخل فى أمور الرعايا المسيحين فى بلاد الدولة

وفى سنة ١٧٨٣ م أغارت الروسيا على القريم فقامت الحرب

الرابعة بين تركيا والروسيا وانتصر القائد الروسى الكبير (سواروف) مرارا على العثمانيين ومن أكبر اعماله فى هذه الحرب استيلاؤه على مدينة اسماعيل على مصب الطونة (١٧٩٠م) ثم ختمت هذه الحرب بمعاهدة (ياش) سنة ١٧٩٢ م وبها صار نهر (دنيستر) الحد الفاصل بين أملاك الدولتين

وكان من اكبر محرضى (كاترين) على محاربة الدولة وزيرها (بوتمكين)



الفصل الثالث

تركيا فى القرن التاسع عشر

كانت الدول الأوربية ترى أن التركى عدو المسيحية وان كل انتصار للدول المسيحية على الدولة العلية فوز لها يقابل بالاستحسان ، هذه السياسة بدأ تغيرها فى القرن الثامن عشر ولا سيما قبيل معاهدة (ياش) وزادت تغيرا فى القرن التاسع عشر واضطرت الدول الأوربية الى المحافظة على بقاء الدولة العلية فى أوربا وان وافقت تلك الدول على ضياع بعض أملاك الدولة وانما دعا الدول الى هذا التغيير فى سياسة المسئلة الشرقية ازدياد قوة الروسيا ازديادا مطرداً حتى أتى عليها زمن أثناء القرن التاسع عشر كانت فيه ذات نفوذ كبير فى أوربا

وولى سلطنة آل عثمان أثناء القرن التاسع عشر أربعة سلاطين

١ — محمود الثانى (١٨٠٧ — ١٨٣٩ م)

٢ — عبد المجيد (١٨٣٩ — ١٨٦١ م)

٣ – عبد العزيز (١٨٦١ – ١٨٧٦ م)

٤ – عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ – ١٩٠٨ م)

واكبر أعداء الدولة فى هذا القرن عدوتها الكبرى فى القرن الثامن عشر أيضاً وهى الروسيا التى كانت سببا فى جل الازمات الشديدة التى حلت بالدولة فى هذا القرن

محمود الثاني

جلس على عرش السلطنة فى أوائل هذا القرن السلطان محمود الثانى وكان قادرا ميالا الى النهوض بالدولة عاملا على اصلاح الفاسد من أمورها غير أن الظروف لم تساعده على التفرغ للاصلاح فان مدة حكمه كثرت فيها الحوادث الجسام

الحرب التركية الروسية ١

فأول حوادث عصره الحرب التركيه الروسية الأولى (١٨٠٧ – ١٨١٢م) والسبب فيها نابليون بونابرت فانه أوعز الى تركيا أن تحارب الروسيا رغبة فى أن يشغل أذهان رجالها لانه كان يفكر فى غزوها غزوته المشهورة التى لاقى فيها الاهوال ورجع خائبا فكان من مصلحته أن تشتغل الروسيا بمحاربة دولة أخرى

وانتهت هذه الحرب بمعاهدة بخارست (بكرش) سنة ١٨١٢ م وبها امتدت أملاك الروسيا الى نهر بروت واستقلت

الصرب استقلالا اداريا

وفى سنة ١٨٢٢ م اشتعلت نار الثورة اليونانيـة فبعثت الدولة بالاساطيل والجنـود ولكن لم تتمكن من قمعها لان الأوربيين أمدوا اليونانيين وساعدوهم ماديا وأدبيا ليتمكنوا من الاستقلال وكونت جمعيات فى أوربا لمساعـدة الثوار ودخل فى هذه الجمعيات بعض كبار الرجال أمثال (لورد بيْرُن) الشاعر الانجليزي المشهور فطلبت الدولة المساعدة من محمـد على باشا والى مصر فارسـل الاسطول ومعـه جيش بقيادة ابراهيم باشا فابلى فى تلك الحرب البلاء الحسن وأخضع الثوار واسترد مورة للدولة وكانت الروسيا وانجلترا وفرنسا أرسلت أساطيلها الى مياه اليونان انتصارا للثوار وبينما أساطيل الدولة ومصر فى مياه (نوارين) أطلقت عليها أساطيل الدول المذكورة القنابل فجأة فاتلفتها (١٨٢٧ م)

بعد ذلك انسحبت الجنود المصرية من أراضى اليونان وعقدت انجلترا وفرنسا والروسيا مؤتمرا في لندره (١٨٢٨ م) وأقرت على استقلال اليونان وعلى أن يعين لهـا حاكم مسيحى تنتخبه الدول الثلاث ويدفع للدولة جزية فلم تقبـل الدولة

وأعلنت الروسيا عليها الحرب فكانت الحرب التركية الروسية الثانية .

الحرب التركية الروسية ٢

دخلت الدولة فى هـذه الحرب منهوكة القوى محتاجة جد الحاجة الى السلم والراحة من عناء الحرب لتصلح مافسد من أحوالها وكان جيش الينشارية قد أبيد ولم تستطع الجنود الجديدة المقاومة فما لبثت الجنود الروسية ان اجتازت جبال البلقان وصارت على أبواب القسطنطينية فاضطرت الدولة الى الاتفاق مع الروسيا وكانت معاهدة (أدرنه) سنة ١٨٢٩ م وبها

معاهدة ادرنه ١٨٢٩م

١ ـ اعترفت الدولة باستقلال اليونان

٢ ـ واستولت الروسيا على مصب نهر الطونه وعلى بعض الجهات التى على الشاطئ الشرقى للبحر الاسود

عبد المجيد

وجاء بعد السلطان محمود عبد المجيد وكان يحاول أن يصلح الحكومة العثمانية ويدخل فيها النظام الأوربى ولكنه وجد صعوبة فى استئصال الفساد المستحكم فى نفوس كثيرين من رجال الحكومة وحالت مطامع الروسيا بينه وبين التفرغ لتخطى ما فى سبيل الاصلاح من العقبات لان

الروسيا كانت تنظر الى كل اصلاح فى الدولة نظر السخط خوفا من ان الدولة تقوى فلا تتمكن الروسيا من نيل مآربها فيها

وفى عهد السلطان عبد المجيد كانت الحرب الثالثة بين تركيا والروسيا وهى الحرب المعروفة بحرب القريم

حرب القريم

والسبب فى هذه الحرب انه فى سنة ١٨٥٢ م حصل خلاف بين الروسيا وفرنسا بشأن حماية الاماكن المقدسة فى الشام ففرنسا زعيمة الكاثوليكيين كانت صاحبة الحماية على تلك الاماكن وعلى الكاثوليكيين فى الشرق من قديم والروسيا زعيمة الارثوذكسيين كانت تود هذا الامتياز لأهل مذهبها ورأت من الدولة العلية تعضيدا لفرنسا فحنقت عليها وانتهزت ضعفها فاتخذت من تعضيد فرنسا حجة لنيل مآربها العدائية من الدولة تلك المآرب التى لم يكف نقولا قيصر الروسيا عن السعى اليها ما استطاع فان هذا القيصر غلا فى عدائه للدولة وشغف بالاستيلاء على القسطنطينية حتى انه خلا بسفير انجلترا فى بطرس برج وصرح له برغبته فى أن تقتسم

الروسيا وانجلترا أملاك الدولة وقال للسفير ان انجلترا اذا وافقته لايحفل برأى سائر الدول الاوربية غير ان انجلترا رفضت هذا الاقتراح ونشرت رأى القيصر السرى فاستاء لذلك

ولم تمض على ذلك بضعة شهور حتي أرسلت الروسيا أحد أمرائها الى القسطنطينيه يطلب من الدولة بكل عظمة أن يكون رعاياها الارثوذكس تحت حماية الروسيا فأبى السلطان عبد المجيد اجابة هذا الطلب فاعطاه الأمير الروسى أنذار الحرب وغادر القسطنطينية .

وبدأت الحرب بعبور الجنود الروسية نهر بروت واحتلالها ولايتى الافلاق والبغدان فتعاهدت فرنسا وانجلترا مع الدولة على أن تساعداها اذا لم تعتدل الروسيا فى مطالبها ولكن الروسيا استمرت فى عدائها ودمرت أساطيل الدولة فى (سينوب) فذهبت الأساطيل الفرنسية والانجليزيه الى البحر الاسود واضطر الاسطول الروسى الى الانسحاب الى (سباستبول) ورأى قيصر الروسيا ان غطرسته نفرت منه الدول الاوربية وتركته وحيدا

ولما جاءت الجنود الفرنسية والانجليزية وجدت الجيش العثمانى قد اخرج الجنود الروسية من ولايتى الافلاق والبغدان ولكنها أرادت أن تؤدب الروسيا فسارت الى شبه جزيرة القريم بقصد محاصرة (سباستبول) وفى طريقها هزمت الروس فى وقعة نهر (ألما) ففتح لها الطريق الى (سباستبول) وضربت عليها الحصار نحو سنة كانت أنظار أوربا فى أثنائها متطلعة الى المدينة وما يجرى فيها ولاقت فيها الجنود المحاصرة الأهوال من شدة الطقس وحاول الجيش الروسى ان يهزم الجنود المحاصرة فلم يفلح بل هزم فى وقعتى (بلَكلافَا) و (انكرمان) بعد خسائر فادحة من الطرفين

وفى أثناء الحصار مات نقولا قيصر الروسيا وخلفه اسكندر الثانى واستمر القتال وقاومت (سباستبول) بكل جرأة وثبات ولم تتمكن الجنود المتحدة من الاستيلاء عليها الا بعد العناء

معاهدة باريس ١٨٥٦م

ثم كانت هدنة عقد فى أثنائها مؤتمر فى باريس ووافق على معاهدة باريس (١٨٥٦ م) وبها

١ — أعلن عدم حماية الروسيا للولايات الواقعة على

نهر الطونة

٢ — وضمنت حرية الملاحة فى نهر الطونة تحت حماية الدول

٣ — وقررت حيدة البحر الاسود وأخرجت منه كل السفن الحربية

٤ — وتعهد السلطان عبد المجيد بتقوية حقوق المسيحيين فى تركيا دون ان يترتب على ذلك ما يضر باستقلال الدولة

٥ — وضمن استقلال الدولة

٦ — وأجلى الجيش المتحد عن البلاد التى فتحها

وفى سنة ١٨٥٨ م استقلت ولايتا الافلاق والبغدان على ان تدفعا الجزية للدولة وفى سنة ١٨٥٩ م كونت من هاتين الولايتين ولاية واحدة سميت رومانيا

وقد تعلمت الروسيا من حرب القريم انها لا تستطيع مس استقلال الدولة بسوء

واعلم ان حرب القريم كانت فى آخر أيام عباس الأول وأوائل أيام سعيد وقد أرسل كل منهما نجدة مصرية من سفن وجنود واشتركت السفن فى نقل الجنود من (وارنه) الى

القريم واشتركت الجنود فى محاصرة (سباستبول) ولاقت مالاقى غيرها من الأهوال فى فصل الشتاء

هذا وقد انضم الى الجنود المتحدة فى هذه الحرب جنود بعث بها (فكتور عمنويل) ملك سردانية الذى صار ملكا على ايطاليا بعد وحدتها

عبد العزيز

لما مات السلطان عبد المجيد خلفه السلطان عبد العزيز وزار القطر المصرى فى أوائل حكمه فى أول سنة من حكم اسماعيل باشا (١٨٦٣ م) وفى عهده تحركت الفتن السياسية ووجدت فى الولايات المسيحية سلسلة ثورات أراد بها أهل تلك الولايات الاستقلال والتخلص من الحكم العثمانى

ثورة كريد ١٨٦٦ – ٦٨م

فمن هذه الثورات ثورة كريد (١٨٦٦ – ١٨٦٨م) وكان المحرض عليها اليونان وتظاهرت حكومتهم بذلك حتى كادت الحرب تقع بين اليونان والعثمانيين لولا تداخل الدول واضطرارها اليونان الى التزام الحياد وتمكنت الدولة من قمع الثورة وبقيت الجزيرة تابعة لها

وكما أخذت الدولة العثمانية الجنود المصرية فى حرب القريم أيام عباس الأول وسعيد أخذت جنودا من مصر

لتساعدها فى كريد واهتم اسماعيل باشا بالأمر وأبلى المصريون البلاء الحسن فأرسل اسماعيل رسالة رقيقة من انشاء عبد الله باشا فكرى يشكر فيها أعمال الجنود وكان من بين الضباط الذين رافقوا الجنود المصرية الشاعر المعروف محمود باشا سامى البارودى

حركة ١٨٧٥ م بين الصقالبة فى البلقان

وفى سنة ١٨٧٥ م كانت حركة بين الصقالبة فى البلقان بدسائس الدول ذات المصالح كالروسيا والنمسا فثارت ولايتا البوسنه والهرسك وانضم الى الثوار كثيرون من الجبليين والصربيين فقامت الحكومة العثمانية وقعدت وأخذت الدول الأوربية تتداخل كعادتها وبقيت أنظار أوربا ثلاث سنين موجهة الى المسئلة الشرقية وما يكون من أمر الثوار مع الدولة العثمانية.

لائحة اندراسى وفشلها

وكانت النمسا أول الدول الأوربية اهتماما بهذه الحركة فقدم وزير خارجيتها (أندراسى) لائحة تعرف بلائحة اندراسى ذكر فيها ما يجب على الدولة من الاصلاح فيما يتعلق برعاياها المسيحيين فقبلت الحكومة العثمانية ووعدت ولكن الثوار أبوا الا أن تنفذ لهم طلبات كثيرة فلم تأت اللائحة بفائدة ما .

وفترت اعزية النمسا لعدم ميل أهل المجر الى حركة الثوار والسبب فى سلوك المجر هذا المسلك بغضها الروسيا وعلمها ان هذه الحركة من مصلحتها

وفى أواخر السنة التى قدمت فيها لائحة اندراسى كان اضطراب بين المسلمين والمسيحيين فى سلانيك انتهى بقتل العثمانيين قنصلى فرنسا وألمانيا فكان ذلك طامة كبرى وأخذت الدول تفكر فى السبيل الذى تسلكه مع الدولة العثمانية

حادثة سلانيك

فأعدت لائحة أخرى شديدة اللهجة تعرف بلائحة برلين ولكن هذه اللائحة فشلت لعدم موافقة انجلترا عليها ولم ترسل للدولة العثمانية

لائحة برلين وفشلها

وفى أثناء ذلك كان الثوار يتمادون فى عدوانهم وانضم اليهم البلغار وسلطت الدولة على البلغاريين جنودها فقاموا بتأديبهم حق القيام ولكن قامت أوربا ولاسيما مستر غلادستون فى وجه الدولة تنكر عليها استعمال القسوة فى كسر شرة المشاغبين

وبينما هذه الحوادث تتوالى عزل السلطان عبد العزيز ولم يلبث أن قتل وخلفه بعد عزله السلطان مراد الخامس

مراد الخامس

عبد الحميد الثانى

ولكنه خلع لعدم أهليته للحكم وخلفه السلطان عبد الحميد الثانى فاستمر فى تأديب الثائرين

لم يرق الدول الأوربية ولا سيما الروسيا أن ترى الجنود العثمانية تقضى على الثوار المسيحيين وتقمع الثورات فى ولاياتها فتحركت الروسيا وعاد اسكندر الثانى الى سياسة والده نقولا وزعمت انجلترا أن تأفف الرأى العام فيها مما يسمونه الفظائع البلغارية يحول بينها وبين اقرار الدولة على عملها مع الثوار

فتقدم قيصر الروسيا الى الدولة أن تمنح الثوار هدنة شهرين فاجابت الدولة طلبه وكفت عن تأديب المشاغبين وعقد مؤتمر فى القسطنطينية (١٨٧٦م) وكان الصدر الاعظم مدحت باشا زعيم حركة الاصلاح فى الدولة فكان يرجى أن يتفاهم معه أعضاء المؤتمر ولكن المؤتمر تشدد فى طلبه اذ اقترح عدة اصلاحات وطلب ان تراقب الدول تنفيذها وان يكون لها حق الاشتراك فى تعيين حكام الأقاليم فى الدولة ولكن الدولة أبت وكان السلطان عبد الحميد قد أعطى الدستور للبلاد العثمانية (١٨٧٦م) ليتسنى له أن يرفض باسم الأمة العثمانية ماتطلبه الدول

ثم رأت الروسيا الدول ناقمة على الدولة وتعهدت الدول للروسيا بالبقاء على الحياد فاعلنت الحرب على الدولة (١٨٧٧ م) وهذه هى الحرب التركية الروسية الرابعة فى القرن التاسع عشر

الحرب التركية الروسية ٤

سارت الجنود الروسية ومرت فى رومانيا فانتهز أميرها هذه الفرصة وأعلن استقلاله وانضم بجيشه الى جيش الروسيا ثم عبر الجيشان نهر الطونة وظن العالم ان هذا الجيش العرمرم سيهزم الاتراك فى مدة وجيزة وتنتهى الحرب سريعا ولكن الجنود العثمانية أظهرت انها لاتزال فيها الحمية التى ارتعدت منها أوربا فى الازمنة الماضية وصد الغازى عثمان باشا هجمات الروس على بلفنا ودافع عنها دفاعه الذى ذاع صيته فى الآفاق ثم ضيق الروسيون الحصار على المدينة حتى فرغت المؤنة منها فسلمت حاميتها بعد ان حاولت اختراق صفوف المحاصرين وقتل فى هذا الحصار آلاف من الروسيين

كذلك استولت الروسيا على مدينة قارص فى القوقاز بعد ان دافع عنها الغازى مختار باشا دفاعا خلد له الذكر الجليل فى فنون الحرب حتى صد الروس عنها ورفعوا الحصار ولكن

لم تأته الامداد الكافية فسقطت المدينة ثم تشبهت الصرب والجبل الاسود برومانيا وأعلنتا الاستقلال فاخترق الروسيون بعد انتصارهم هذا جبال البلقان وما لبثوا أن استولوا على (أدرنه) ولما أصبح الروس على أبواب القسطنطينية خافت انجلترا قوة الروسيا وجاءت كعادتها فى الزمن الاخير تساعد الدولة فأرسلت أساطيلها الى الدردنيل ولكن لم تعمل شيئا فان تركيا طلبت الصلح وعقدت هدنة أدرنه وكانت معاهدة سان اسطفانوس

معاهدة سان اسطفانوس

ورأت الدول أن شروط هذه المعاهدة فى مصلحة الروسيا وأن تنفيذها يقوى مركز تلك الدولة فاعترضت عليها وطلبت عقد مؤتمر لتعديلها فعقد مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م وفيه أمضيت معاهدة برلين وأهم ماجاء فيها

معاهدة برلين ١٨٧٨ م

١ ــ الاعتراف باستقلال رومانيا والصرب والجبل الأسود بدون توسيع أملاكها

٢ ــ واستقلال البلغار ودفعها الجزية دون أن يضم اليها الروملي الشرقى

٣ ــ وبقاء الروملي الشرقى تابعا للدولة مع بعض استقلال

اداري ويحكمه حاكم مسيحي يختاره السلطان وتوافق عليه الدول

٤ ـ واحتلال النمسا للبوسنة والهرسك

٥ ـ وبقاء حرية الملاحة في نهر الطونه وهدم ماعليه من القلاع

٦ ـ وتخلي الروسيا عن ارضروم واستيلاؤها على قارص وباطوم

٧ ـ وتعهد الدولة باصلاح ولايات البلقان

وبعد موتمر برلين أعلن اتفاق سري كانت انجلترا عقدته مع الدولة قبيل هذا المؤتمر ويقضي هذا الاتفاق باحتلال انجلترا جزيرة قبرص على شرط أن تضمن سلامة املاك الدولة في آسيا

وفي هذه الحرب أخذت الدولة جنوداً من مصر كما أخذت قبل ذلك في حرب استقلال اليونان وحرب القريم وثورة كريد



الفصل الرابع

مصر فى عهد الأسرة المالكة الحالية

(١) محمد على (١٨٠٥ — ١٨٤٨ م)

(٢) ابراهيم (١٨٤٨م) (طوسون) (٤) سعيد (١٨٥٤—١٨٦٣م)

(٣) عباس الاول (١٨٤٨ — ١٨٥٤ م)

(٥) اسماعيل (١٨٦٣ — ١٨٧٩ م)

(٦) توفيق (١٨٧٩ — ١٨٩٢ م)

(٧) عباس الثانى (١٨٩٢ — اليوم)

بقيت مصر بعد خروج الفرنسيين (راجع الحملة الفرنسية ص ٥٦ من مذكرات السنة الثانية) وهى من ضعف السيطرة العثمانية وتنازع الاحزاب المتنافسة فى فوضى مطلقة ومازالت كذلك لاتعرف لها حاكما حتى ظهر من خلال الهرج والمرج محمد على باشا فانتزع البلاد من المختلفين عليها واصبح هو

صاحب الـكلمة فيها

كان محمد على فى الحملة التى ارسلتها الدولة العثمانيـة مع الحملة الانجليزية لاخراج الفرنسيين من مصر

ولما تم اخراجهم وعادت مصر للدولة العثمانية بقى محمد على فى مصر ولقيامه بواجبه فى الحملة عنى به رؤساؤها فرقوه إلى ان صار قائد فرقة وكان والى مصر بعدخروج الفرنسيين رجلا اسمه خسرو باشا ألحق محمد على بحاشيته وما زال يرقى حتى صار قائد بضعة آلاف من الالبانيين فـكبرت قوته حتى خشيه الوالى خسرو باشا

وكانت مصر من خروج الفرنسيين الى تولية محمد على مملوءة بالقلاقل لا تـكاد تنقطع منها الفتن بسبب النزاع الذى بين المماليك والولاة العثمانيين

١ ـ فالمماليك لا يزالون يحاولون الاستقلال بملك مصر

٢ ـ والوالى العثمانى يريد تأييد سلطان الدولة العثمانية

هذا التفرق ساعد محمد على على ان يسود لانه جعـل يتفق مع المماليك على الوالى تارة ومع أحد حزبيهم على الآخر أخرى وهو فى اثناء ذلك ينال ما يريده من أضعاف القوى

المختلفـة التي كان يخشى ان تـكون حائلا بينه وبين آماله فـكانه صار هو ومن والاه من الجنود حزبا آخر فى مصر فى تلك الفترة المضطربة

خرج المماليك على خسرو فارسل اليهم الجنود وامر محمد على بنجدتها ولـكن المماليك انتصروا على الجنود العثمانية وظن ان لمحمد على يدا فى ذلك اذ تأخر عن نجدة الجنود كما أمر فحنق عليه خسرو ودبر حيلة لقتله ففطن لها محمد على وأعقب ذلك ثورة الجنود على خسرو وفراره الى دمياط وجعل أحد كبار الجنود واسمه طاهر واليا مكانه ولـكنه قتل بعد زمن يسير وربما كان لمحمد على يد فى كل ذلك

ثم اتفق محمد على مع المماليك بعد ان استمالهم اليه وما زال ينتفع بهم حتى حمل أحد زعمائهم وهو عثمان البرديسى على محاربة خسرو فى دمياط فحاربه وأسره

وكان المماليك قسمين كل منهما يود الانفراد بالامر دون الآخر لذلك وجد التنافس بين رئيسيهما وهما عثمان بك البرديسى ومحمد بك الالفى فسعى محمد على بينهما وبعث ما كمن فى نفس البرديسى من الحسد للألفى حتى وقع الخلاف بينهما

واضطر الألفي الى الفرار من القاهرة ثم مازال يحرك على البرديسي حتى اضطر الى مغادرة القاهرة وخلا الجو فيها لمحمد على

ثم عين خورشيد باشا واليا وجعل محمد على قائمقام له وكان خورشيد ضعيفا مل الاهالى حكومته وسئموا معاملة جنوده اما محمد على فكان قويا دائبا على استمالة العلماء لعلمه بما لهم من النفوذ فاجتمعوا وطلبوا منه ان يكون واليا عليهم وأخبروا خورشيد بذلك وكتبوا للحكومة العثمانية فوافقت وأصبح محمد على والى مصر (١٨٠٥ م)

لم يكن صدور الفرمان بولاية محمد على كافيا فى تثبيت قدمه بمصر بل لقى مصاعب جمة قبل ان تمكن من بسط نفوذه على البلاد

رأت الدولة العثمانية ان تبعده عن مصر وعينته واليا على سلانيك فابى وسعى لديها بواسطة العلماء فى مصر حتى ورد فرمان آخر يثبته فى الولاية فكأنه اذن كان معرضا فى كل حين الى العزل شأن كل الولاة العثمانيين ولا سيما فى مصر فى ذلك الوقت المضطرب

وكان محمد على منذ صار واليا يعانى الصعاب من امراء المماليك لانهم كانوا له خصوما ألداء ولا سيما زعيماهم الألفى والبرديسى فكثر القتال بينه وبين الألفى لانه كان لعلو همته العقبة الكؤد فى طريق محمد على وكان هذا يخشاه ويهابه ولم يقتصر الألفى على محاربة محمد على بالجنود بل حاربه بالسياسة وذلك انه أكثر من الشكوى للسلطان وذهب الى انجلترا يستعين حكومتها كل ذلك ليتخلص من محمد على وكان سعيه هذا سببا فيما تقدم من رغبة الدولة فى عزل محمد على وتوليته سلانيك ولما لم يعزل ولم تتداخل انجلترا قام الألفى من دمنهور الى الجيزة فخرج محمد على لقتاله فانتقل الألفى الى الصعيد وما لبث ان توفى بقرب دهشور واتفق ان مات على أثره البرديسى بعد ايام قلائل فكان موت هذين الأميرين من الحوادث التى قوت مركز محمد على فى مصر لان من بقى من أمراء المماليك وان شغلوه واضطروه لمقاتلتهم لم يكونوا ممن يخشى باسهم كثيرا

وكانت تركيا (١٨٠٧ م) قد اتحدت مع نابليون بونابرت وزال ما كان بينهما من الجفاء أيام الحملة الفرنسية فكان اتحادهما

سببا فى قيام الحرب بين تركيا والروسيا (الحرب الأولى من حروب القرن التاسع عشر) بالاتفاق مع انجلترا ورأت الحكومة الانجليزية ان تغير على مصر وتنصر المماليك وتقضى على نفوذ الدولة العثمانية فيها فارسلت حملة تعرف بحملة (فريزر)

حملة فريزر ١٨٠٧ م

هذه الحملة وصلت الأسكندرية بعد نحو أربعين يوما من موت الألفى واستولت على الأسكندرية فصدمت صدمتين قطعا منها الأمل فاكتفت بالتحصن فى الأسكندرية بعد ان أسر منها فى رشيد نحو الاربعمائة سيقوا الى القلعة

وكان محمد على عند ذلك بالصعيد يحارب من ناوأه من أمراء المماليك فعقد الصلح معهم وعاد الى القاهرة ثم الى جهات الاسكندرية وتم الاتفاق بينه وبين فريزر على اخلاء الاسكندرية والخروج من القطر المصرى

هذا الانتصار على حملة فريزر كان أيضا من الحوادث التى قوت مركز محمد على لانه أفهم الحكومة العثمانية انه من الذين يركن اليهم فأصبح فى مأمن من خطر العزل أما المماليك فجعل يستميلهم ولم يزل يتحين الفرص للقضاء عليهم حتى نكبهم كما سترى

ومن العقبات التى صادفت محمد على وكان لا بد له من تخطيها حتى ينفذ سياسته وينال أغراضه احتياجه الى المال وقد حصل عليه

١ — من الضرائب التى على الأطيان وعلى غيرها . ولكى ينتظم جمعها أمر بمعرفة مقدار الأرض المزروعة ليجعل عليها ما يناسبها من الضرائب ثم وضع يده عليها كلها ولم يبق للأفراد ملكية ، ولتسهيل جمع الضرائب قسم القطر مديريات والمديريات أقساما عليها نظار أقسام

٢ — من التجارة

٣ — من الصناعة ولكن هذه لم تأت بالغرض المقصود منها ولم تجد نفعا المعامل التى أنفقت عليها الاموال الطائلة

٤ — من وضع يده على الاوقاف

ومن آثار العناية بالتجارة والزراعة فى عهد محمد على حفر ترعة المحمودية تسهيلا للمواصلة بين النيل والبحر الابيض لخطر المسافة بالبحر بين الأسكندرية ورشيد وادخال النباتات التى لم تكن بالقطر أجدرها بالذكر القطن وحفر الترع

وتطهيرها وبناء القناطر الخيرية التي أشار ببنائها (لينان بك) وباشر بناءها (موجيل بك) ووضع أساسها سنة ١٨٣٥ وتم بناؤها سنة ١٨٤٣ م

ولما كان محمد على لابد له من جيش يعتمد عليه ويثق به فى أعماله الحربية الكثيرة فكر فى جيش منظم على الطريقة الأوربية لان الجيش العثمانى الذى كان بالبلاد عند ولايته كانت تبد ومنه أحيانا علامات النزوع الى ما اعتاده من المشاغبة وحب التداخل فى أعمال الحكومة وكانت الجنود فى حرب الوهابيين وأوائل فتح السودان من غير المصريين ثم حاول محمد على ان يجند الزنوج فلم يفلح وزاد شغفه بعد فتح السودان بتنظيم الجيش فأنشأ المدارس الحربية وأدخل أبناء مصر فى الجندية فكان له جيش من المصريين وغير المصريين دربهم رجال الحرب الفرنسيون كالكولونيل سيف (سليمان باشا) وغيره حتى ظهر استعدادهم للقتال فى الحروب الشامية كما سترى بعد

ومن آثار محمد على فى داخلية مصر انشاؤه المدارس الكثيرة لما رأى الحاجة ماسة الى موظفين فى الادارة

موالجيش وفى هذه المدارس ادخل أولاد مماليكه وابناء أستخدمي الحكومة ثم أبناء المصريين غير ان هذه المدارس غلقت بعدأيامه وكانت اطولها عمرا مدرسةالطب التى أسسها كلوت بك سنة ١٨٢٧م

هذا وفى أيامه أسست مطبعة بولاق وكثروفود العلماء والسياح على مصر لاكتشاف آثارها واستطلاع أحوال السودان فكانت لابحاثهم فوائد علمية جليلة

سياسة محمد على الخارجيه

أما سياسة محمد على الخارجية فدوران

ا ـ دور ولائه للدولة العثمانية

ب ـ دور خروجه عليها ومحاولته الاستقلال

فالدور الأول (١٨١١ ـ ١٨٣٠م) يشتمل على أعماله فى حرب الوهابيين وفى حرب استقلال اليونان

والدور الثانى (١٨٣٠ ـ ١٨٤٠م) يشتمل على حروبه الشامية مع الدولة العثمانية

الوهابيون

والوهابيون ينسبون الى محمد بن عبد الوهاب وهو رجل نجدى ولد حوالى سنة ١٧٢٠م واعتقد ان الاسلام دخل فيه ماليس منه فعزم على الرجوع به الى بساطته الأولى وأقام

بالدرعية وكان أميرها رجلا اسمه محمد بن مسعود فانضم الى ابن عبدالوهاب فى عقيدته وأخذالوهابيون يكثرون ولكن لم يقوشأنهم الا فى أواخر القرن الثامن عشر فاستولوا على الحجاز ومكة والمدينة وفى عهد سعود حفيد محمدبن مسعود كان الجزء الأكبر من بلادالعرب فى قبضتهم ·

فلما رأت الحكومة العثمانية ان الوهابيين استفحل أمرهم كلفت والى مصر باخضاعهم فاعد الجنود والسفن اللازمة بالبحر الأحمر ولكن قبل ان تسافر الحملة رأى محمد على ان يتخلص ممن بقى من المماليك خوفا من ان يستقلوه اذا قل الجند فى القطر بعد سفر الحملة فدعاهم لحضور الاحتفال بالجيش قبل ان يسافر لبلاد العرب وبينما هم خارجون من القلعة فى الموكب أمر فقتلوا وقبض على من بقى منهم فى انحاء القطر وما زال يتتبعهم حتى أفناهم وأمن شرهم ولم ينج منهم الا من ندر

ابادة المماليك

بعد ذلك تفرغ لقتال الوهابيين وتنحصر حربهم فى ثلاث حملات .

١ ـ حملة طوسون سنه ١٨١١ م

٢ ـ حملة محمد على لمساعدة طوسون سنة ١٨١٣ م

٣ ـ حملة ابراهيم سنة ١٨١٦ م

سافرت الحملة الأولى الى السويس ثم الى ينبع وهزم طوسون أولا فارسل محمد على الامداداليه فقوى واستخلص مكة والمدينة من الوهابيين

وفى سنة ١٨١٣ م حمل الوهابيون على طوسون وجنوده واستردوا بعض ما أخذ منهم فذهب محمد على نفسه وهزم الوهابيين وأخذ كثيرا مما فى يدهم من الجهات ثم عاد الى مصر (١٨١٥م) وعاد بعده طوسون بعد أن عقد الصلح بينه وبين الوهابيين واحتفل به فى القاهرة ثم ذهب الى الاسكندرية وفيها مات

نقض الوهابيون الصلح فجرد اليهم محمد على الحملة الثالثة (١٨١٦ م) وجعلها تحت قيادة ابنه ابراهيم باشا فسار من القاهرة الى قنا بطريق النيل ومنها الى القصير ثم عبر البحر الأحمر الى ينبع فالمدينة وانضم اليه عدد من العرب وبعد وقائع تم النصر له واستولى على الدرعية وقبض على زعيم الوهابيين وأرسله الى مصر ثم أرسل الى الاستانه وفيها قتل وانتهت حوادث الوهابيين

اما عن علاقة محمد على بحرب استقلال اليونان فراجع تركيا فى عهد محمود الثانى

الدور الثانى والحروب الشامية

والدور الثانى من سياسة محمد على الخارجية ينحصر فى حروب الشام والسبب فيها طمع محمد على فى اتساع ملكه واستقلاله بمصر وكان يؤمل آمالا كبيرة من وراء مساعدته الدولة فى حرب اليونان ولكن خروج الدولة من تلك الحرب مهزومة قضى على آماله وكانت الدولة منهوكة القوى لحروبها مع ثوار اليونان ومع الروسيا فراى ذلك فرصة لتوسيع ملكه بالقوة وخرج على دولته والتمس لذلك الأسباب فطلب من الدولة ضم الشام الى مصر مكافأة له على خدماته ولكن الدولة لم تحفل بطلبه

هذه المطامع التى شغلت أفكار والى مصر ودفعته الى الخروج على دولته بعد بضع سنوات من حادثة نوارين حركت المسئلة الشرقية وحولت انظار الساسة الأوربيين الى حوادث تركيا زمنا غير يسير

الحرب الاولى

وكان قائد الجنود فى الحروب الشامية ابراهيم باشا فزحف على عكا واستولى عليها بعد حصارها (١٨٣١ م) ولما

استولى على الشام أمعن فى بلاد الأناضول وقضى على الجيش العثمانى فى وقعة قونيه (١٨٣٢ م) وأصبح الطريق الى القسطنطينية ممهدا امامه فتقدم حتى وصل كوتاهية فاضطربت الدولة وخافت سوء العاقبة فساعدتها عدوتها الروسيا لسببين

قونية ١٨٣٢م

١ ـ ان يكون لها باب للتداخل فى أمور الدولة

٢ ـ ان لا تقع القسطنطينية فى يد محمد على فتصبح فيها حكومة قوية لا تدع مجالا لمطامع الروسيا

وعقدت بينهما معاهدة (خونكار اسكله سى)

معاهدة خونكار اسكله سى

ولما رأت الدول الاوربية انضمام الروسيا الى تركيا خافت قوة الروسيا فحالت بينها وبين مساعدة الدولة ودارت المخابرات السياسية ثم انتهت بحمل السلطان على التنازل لمحمد على عن الشام وذلك بمعاهدة كوتاهية (١٨٣٣م)

معاهدة كوتاهية ١٨٣٣ م

وفى سنة ١٨٣٩ م رأت الدولة ان تأخذ بالثأر فبعثت بالجنود الى الشام لتحارب الجنود المصرية فلم تستطع الى النصر سبيلا وفاز ابراهيم فوزاً باهراً فى وقعة (نصيبين) وسلم القائد العثمانى البحرى اسطول الدولة لمحمد على

الحرب الثانية نصيبين ١٨٣٩م

وفى ذلك الوقت تغيرت سياسة الروسيا فلم تساعد الدولة

بل آثرت الانضمام الى الدول الاوربية والعمل معهم فى حل المشكل بين مصر والدولة ثم اتفقت الدول على الانتصار لتركيا على محمد على ولم تكن دولة تميل الى تعضيده الا فرنسا فعملت الدول من غير استشارتها وعقدت اتفاق لندره (١٨٤٠م) واشتركت فيه انجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا وقررت بقاء ولاية مصر لمحمد على وأولاده من بعده واعطاءه الشام مدة حياته فقط اذا قبل شروطها فى مدة عشرة أيام وان لم يقبل أخرجوه من الشام

اتفاق لندره ١٨٤٠م

ولم يرض محمد على بذلك اتكالا على فرنسا لكنها لم تساعده فتألبت عليه الدول وكسرت شرته وكبحت جماحه واجتمعت أساطيل الدول على سواحل الشام وثار عليه أهل الشام تخلصاً من ظلم حكومته وربما كان للدولة فى هذه الحركة يد ولم يقو محمد على على من تألبوا عليه فاستولت الاساطيل على مدن الساحل وهدده الاميرال الانجليزى باطلاق القنابل على سراى رأس التين ان لم يذعن فلما أدرك حرج الموقف لم يجد بداً من الاذعان وتعهد

١ — بالجلاء عن الشام

٢ — برد اسطول الدولة اليها

٣ — بأن لا يزيد عدد الجيش المصرى عن ١٨٠٠ جندى يكون نظامهم كالجيش العثمانى

٤ — بأن كل من يتولى مصر من أولاده يذهب الى القسطنطينية ليتقلد الولاية من يد السلطان

فمحمد على بعد كل هذه الحروب لم ينل ما أراده من الحصول على دولة ضخمة له ولأولاده

أما فتوح محمد على فى أفريقية فسيوة والسودان فسيوه فتحت سنة ١٨٢٠ م وصارت من ذلك الحين تابعة لمصر ولم يكلف فتحها كثير مشقة

فتح السودان ١٨٢٠م

والسبب فى فتح السودان (١٨٢٠ م) توسيع أسباب الرزق والثروة والحصول على معادن ذهب وعهدت قيادة الجيش الفاتح الى اسماعيل بن محمد على فسار فى النيل يستولى على المدن حتى وصل شندى والمتمة واستولى بعد ذلك على سنار وهناك انضمت اليه الحملة الثانية وكان يقودها ابراهيم باشا ولكنه مرض وعاد الى القاهرة واستمر اسماعيل حتى وصل ملتقى النيل الابيض بالنيل الازرق وأسس هناك مدينة

تأسيس الخرطوم

الخرطوم وعند عودة اسماعيل باشا الى مصر طلب من حاكم شندى طلبات غير معقولة فدبر له مكيدة أحرقه فيها

ولما علم أحمد بك الدفتردار وكان يقاتل فى كردفان رجع الى شندى وانتقم من أهلها وأحرق مدينتهم وثبت سيادة الحكومة المصرية على بلاد سنار وكردفان وفتح قسما كبيراً من بلاد السودان وجعل الخرطوم عاصمته

وفى أواخر أيام محمد على ضعفت قواه العقلية فاعتزل

ابراهيم

العمل (١٨٤٨م) وخلفه ابنه ابراهيم فلم تطل مدته بل توفى

عباس الاول

(١٨٤٨م) وجاء بعده عباس الاول (١٨٤٨ ـ ١٨٥٤) فرجعت البلاد فى عهده القهقرى ومحى منها كل أثر لمدة محمد على فأغلقت المدارس والمعامل ولم تبق حاجة لمن كانوا بالقطر من المعلمين الأجانب

غير انه فى عهد هذا الوالى مهد الطريق من القاهرة الى السويس تسهيلا للنقل ومدت السكة الحديدية بين القاهرة والاسكندرية وبدئ بالبحث عن الآثار القديمة (١٨٥٠م)

سعيد

وجاء بعده سعيد (١٨٥٤ ـ ١٨٦٣م) وكان أحسن حالا من سلفه غير انه فى أواخر أيامه اضطر الى اقتراض ثلاثة ملايين من

الجنيهات كانت مبدأ الدين المصرى

وفي عهده كثر اهتمام الدول الأوربية بمصر بمناسبة مشروع قناة السويس

قناة السويس

كانت فكرة اتصال البحر الأبيض بالبحر الاحمر تشغل اذهان كل من لهم علاقة بمصر من عهد الفراعنة وقد اتخذت سبل عدة لاتصالهما وهذه السبل تحصر فى ثلاث طرق:

١ ـ اتصال البحرين بواسطة النيل وفزوعه

٢ ـ اتصال البحرين بواسطة النيل والصحراء

٣ ـ اتصال البحرين بواسطة النيل وقناة ماؤها ملح

الطريقة الاولى

كان للنيل قديما فروع كثيرة ومن هذه الفروع فرع بلوزه الذى يبتدئ من اتريب ويسير الى بسطة ويصب فى البحر الأبيض عند مدينة بلوزه

وكان البحر الاحمر يتصل بالبحيرات المرة بمضيق صالح لسير السفن وكانت هذه البحيرات تدعى خليج هيروبوليس وهيروبوليس مدينة قريبة من رأس هذا الخليج

ففي الأسرة السادسة والعشرين من أسر الفراعنة (٦١٠ق.م) حفرت ترعة بين بسطة ومدينة هيروبوليس ولم

تصل الترعة الى البحيرات المرة فكان الاتصال يتم بنقل الاشياء من نهاية الترعة الى البحيرات المرة وهى مسافة صغيرة

وفي عهد البطالسة حفرت ترعة من هيروبوليس الى البحيرات ومن هيروبوليس الى البحر الاحمر ولما فتح عمرو بن العاص مصر انشأ خليج أمير المؤمنين من مصر القديمة الى بسطة ومنها الى البحر الاحمر

ولما ثار العلويون بالمدينة فى أيام المنصور ثانى خلفاء بنى العباس أمر بردم هذا الخليج منعا لامداد الثوار وبقى مردوما الى الآن ومن آثاره خليج القاهرة

وقد ردم هذا الخليج أيضا وسارت فيه مراكب الكهرباء ومن خليج أمير المؤمنين لم يبق شيء وذهب كل أثر لهذه الطريقة التى اتخذت لاتصال البحرين

الطريقة الثانية

وبالطريقة الثانية تم الاتصال بالسير فى النيل الى قفط (بقرب قوص) على النيل ومنها فى الصحراء الى البحر الأحمر (القصير) ومازالت هذه الطريقة مهمة حتى اكتشف طريق رأس الرجا الصالح (١٤٩٧م) فصار طريق التجارة الى المشرق ولكن طريق مصر أقصر فما زال الناس يفكرون فى

الانتفاع به وبقى يستخدم فى نقل البريد وبعض المسافرين الى الهند

الطريقة الثالثة

والطريقة الثالثة فكر فيها نابليون لما فتح مصر وكثر الاشتغال بها حتى كان زمن سعيد باشا فتم الاتفاق بينه وبين دلسبس (١٨٥٤م) على عمل القناة وأعطاه الامتياز متضمنا اثنتى عشرة مادة مبينا بها الشروط المتعلقة بهذا العمل العظيم ثم شرع فى حفر القناة سنة ١٨٥٩م ولم تتم الا سنة ١٨٦٩م فى زمن اسماعيل باشا

اسماعيل

وجاء بعد سعيد اسماعيل فتحركت فى عهده البلاد حركة أشبه بحركتها فى عهد محمد على وزاد احتكاكها بالأجانب وأخذت تدخل فى دور الحضارة الغربية واتسعت أملاكها فى السودان وزادت امتيازاتها ولاتها فكان يرجى أن تنهض لولا فساد فى حكومتها وماليتها واثقال كاهل أهلها بالضرائب

ولى اسماعيل مصر وليس بها الا بضع مدارس فأنشأ كثيرا من المعاهد العلمية والمدارس الحربية وأكثر من السفن وكون شركة بحرية سماها العزيزية ثم جعلها مصلحة أميرية سميت مصلحة البوستة الخديوية ووسع ادارة البريد وجعلها

مصلحة أميرية وكانت الى سنة ١٨٦٥ م فى يد رجل أفرنجى

وافتتح قناة السويس (١٨٦٩ م) ودعا ملوك أوربا لحضور افتتاحها وأعد لهم ما استطاع من الزينة وبنى الأوبرة الخديوية لهذا الغرض وكلفه الاحتفال بافتتاحها نحو مليون ونصف من الجنيهات

وباع لدولة بريطانيا ما كان للحكومة المصرية من أسهم قناة السويس بأربعة ملايين من الجنيهات (١٨٧٥م) وأنشأ مجلس الشورى واتسعت فى عهده المحاكم المختلطة (١٨٧٣ م)

وبذل قصارى جهده فى ترقية الجيش حتى صار أهلا لان يستخدم فى فتوح السودان وفى اكتشاف أقاليمه

وأكثر من المعامل الحربية وغير الحربية

ومن أشهر حوادث عصره عنايته بالسودان فقد كانت سياسته اتساع أملاكه فيه ولذا كان السودان فى عهده ميدانا للحوادث الجسام والأعمال الكثيرة التى انتهت بضم مصر أقاليمه النائية

مصوع وسواكن ١٨٦٦م

فرغب الى الدولة العلية أن تحيل عليه ادارة سواكن ومصوع فرضيت وتم له ما أراد سنة ١٨٦٦ م وأخذت الدولة

من الحكومة المصرية مبلغاً من المال مقابل ذلك

الزبير باشا

وفى ذاك الوقت ظهر الزبير باشا وأخذ يتجر بالرقيق وجعل مركزه شكا وبنى لنفسه قصرا كقصور الملوك ونظم له جيشا من الزنوج وخافت الحكومة من أن يكون خطراً عليها فأرسلت جيشا لاخضاعه فهزمه الزبير ثم خاف سطوة الحكومة فاعتذر للخديو فقبل عذره وجعله مديراً لمديرية بحر الغزال فكان ذلك أول خطوة فى ارتفاع شأنه (١٨٧٠ م)

مقاطعات خط الاستواء

وفى سنة ١٨٧١ م ضمت مقاطعات خط الاستواء الى أملاك مصر بعد أن اكتشفها الرحالة السير صمويل بيكر بأمر من الخديو اسماعيل وجعل بيكر حاكما لتلك المقاطعات بعد أن رأى الخديو اخلاصه فبقى فى هذا المنصب حتى سنة ١٨٧٣ م ثم استقال ولما استقال بيكر أشار ولى عهد انجلترا على الخديوى بأخذ جنرال غردون مكانه فقبل الخديو لانه كان دائما يستميل انجلترا اليه وبقى غردون حاكما لتلك المقاطعات حتى سنة ١٨٧٦م وفيها استقال

غردون

دارفور

وفى عهده فتحت دارفور وكان العامل فى فتحها الزبير باشا

مدير بحر الغزال وبعد أن انتصر على جيوشها غير مرة أراد سلطانها دفع الجزية ويبقى سلطانا ولكن أيوب باشا حاكم السودان العام (وكان يزحف على الفاشر من الشمال) رفض ذلك ثم تقابل السلطان مع الحاكم العام فأقنعه بالذهاب الى مصر لمقابلة الخديو ففعل وتمت الحيلة ومنع من العودة الى السودان

ولما فتحت دارفور قامت العساكر المصرية باكتشاف أراضيها وأراضى كوردفان فبقيت تكتشف وترسم الخارتات

زيلع ١٨٧٥

وفى سنة ١٨٧٥ تنازلت الدولة العلية للخديو عن زيلع وملحقاتها واستولى الجيش المصرى على مدينة هرر

فتح هرر

تجريدة نهر جوبا ١٨٧٥ م

وأرسل الخديو تجريدة الى بلاد الصومال فوصل الجيش اليها وسار فى النهر المذكور ورسم مجراه بعض رجاله ولكن تداخلت انجلترا فى الأمر وعدت ذلك تعديا من اسماعيل باشا على البلاد الداخلة فى دائرة نفوذها وانتهت المخابرات بعودة الجنود المصرية ومن معها

حرب الحبشه ١٨٧٥ — ٧٦ م

وكانت مصر مشغولة بخلاف مع الحبشة على الحدود فدخلت مصر معها فى حرب لم تجن مصر منها خيراً قط بل فقدت عددا لا يستهان به من خلاصة أبنائها

وبعد ان هزم الجيش المصرى دارت المخابرات بشأن الصلح واذن الملك بردالاسرى المصريين وتبودلت بعد ذلك الهدايا بين الخديو وملك الحبشة وفى أثناء هذه الحرب قام بعض الضباط برسم خارتة عامة للاقليم بين مصوع والحبشة

غردون حاكم السودان العام

وفى سنة١٨٧٧م استخدم الخديو غردون باشا فى السودان مرة ثانية لينفذ المعاهدة التى عقدتها انجلترا مع مصر لمنع ابطال الرقيق فقبل غردون على شرط أن يكون حاكما عاما وقد وجد غردون اضطرابا كثيرا فى بعض جهات السودان فأزاله وفى اثناء ذلك حارب سليمان بن الزبير وفى هذه الحوادث قتل سليمان ووجدت معه رسائل من والده تدل على اشتراكه معه ولذلك بقيت فى النفس أشياء بين غردون والزبير لم تزل الاظاهرا عند استعداد غردون للسفر الى الخرطوم أيام ثورة المهدى

وكان غردون يقاوم تجارة الرقيق مقاومة جعلت الاهالى تسخط على الحكومة

ولما ولى توفيق باشا سنة ١٨٧٩م أتى غردون الى مصر واستقال من عمله بالسودان

آمال اسماعيل

وكان اسماعيل باشا يتوق الى الحصول على امتيازات من الدولة لم تعط لأحد من الولاة قبله وقد تمكن من ذلك بتقربه من الدولة العليه ورجال حكومتها المحيطين بالسلطان وباستمالة الدول الاوربية الكبيرة ومن الطرق التى استمال بها الدولة زيادة الخراج الذى يدفعه لها من تلقاء نفسه وقد نجح فى مسعاه وتم له ماأراد ونال الامتيازات الآتية

١ ـ تنازلت الدولة له عن مصوع وسواكن ثم عن زيلع وملحقاتها

٢ ـ حصل على لقب خديو وهو لقب لم ينله أحد قبله من الولاة

٣ ـ جعلت ولاية مصر مقصورة على أولاده بعد ان كانت تعطى لأكبر أولاد محمد علي

٤ ـ استقل بادارة مصر الداخلية

اضطراب المالية
ثقل الضرائب
تداخل الدول الاوربية

ومازال الخديو يندفع فى تنفيذ مآربه ويتسرع فى توسيع ملكه وادخال النظامات الأوربية مع عدم التأنى والروية وبناء القصور وتوفير أسباب الترف والنعيم وهو لا يراعى الحالة المالية للأمة حتى اضطر الى الاقتراض من الامم الاجنبية

بربا فاحش وما زال يقترض والأرباح تترا كم حتى أصبحت الأمم لا تقرضه الا بصعوبة فرأى أن يحصل على المال بأية وسيلة ولذا وضع على أهل البلاد ضرائب متعددة الاسماء مختلفة الأشكال حتى سئموا دفع الضرائب وأجبروا على دفعها بكل أنواع الاكراه ولم يجدوا بدا من الوقوع فيما وقعت فيه حكومتهم أى الاقتراض من الاجانب النازلين بينهم المتربصين فرص الكسب من أى طريق وأصبح كثير من الاهالى فى قبضة هؤلاء المرابين وتنحصر الأمور التى دعت الى اضطراب المالية فى

١ ـ توسع الخديو فى الفتح والنفقة على الجيوش
٢ ـ زيادة الخراج ودفع أموال سنوية نظير سوا كن ومصوع وزيلع
٣ ـ صرف الاموال على حاشية السلطان للتمكن من الحصول على مآربه
٤ ـ الغلو والسرعة فى بناء القصور وتوفير أسباب الترف
٥ ـ الاقتراض بربا فاحش

٦ ـ اهمال حال الفلاحين وعدم العناية بحالة الزراعة

٧ ـ عدم انتظام طريقة جمع الايراد وضبط المصروف

الحالة المالية

ويكفى أن يقال فى وصف الحالة المالية فى زمن الخديو ان الدين كان عند ولايته نحو ثلاثة ملايين وفى سنة ١٨٧٦م أى قبيل عزله كان أكثر من تسعين مليونا أى انه مكث ثلاث عشرة سنة يضيف الى الدين نحو سبعة ملايين كل سنة

صندوق الدين ١٨٧٦م

ولما خافت أوربا على ديونها طلبت تشكيل صندوق الدين حفظا لحقوق أصحاب الديون وخصص له ايراد بعض المديريات وبعض المصالح

وفى السنة نفسها اشتركت انجلترا وفرنسا فى تعيين مندوبين لفحص المالية فأخذا يحققان ويدققان حتى ارتبك اسماعيل باشا صديق ناظر المالية ونسب كل خلل الى الخديو وترتب على ذلك انه حل به ماحل واقترح المندوبان وجود مراقبة مالية ثنائية مراقب للايراد ومراقب للمصروف

المراقبة الثنائية

وهذه هى المراقبة الثنائية

لجنة التحقيق ١٨٧٨م

ومن نتائج الاضطراب تشكيل لجنة مختلطة لتحقيق حالة المالية المصرية ظهر لها ما أوجب الشك فى نية الخديو

من جهة الديون وسدادها وكان رياض باشا أحد أعضائها فصممت على الشدة مع الخديو واضطرته أن يتنازل عن املاكه الخاصة واملاك أسرته فقبل وجعل له مرتب وهذه الإملاك هى المعروفة بالدومين

الدومين

وقد دعت تسوية الديون الى اقتراض مبلغ ثمانية ملايين ونصف رهنت عليها أراضى الدومين وهو الدين المعروف بدين روتشلد

دين روتشلد

الفتنة العسكريه ١٨٧٩م

وكان من نتائج تسوية المسائل المالية أن حصلت ثورة من ضباط الجيش المصرى لان النظار قرروا الاقتصاد من نفقات الجيش واخرجوا عددا من الضباط ساء حالهم وحال أهلهم وقد أهين فى هذه الفتنة نوبار باشا رئيس الوزارة وناظر المالية الانجليزى وهدأ الثوار بعد مجئ الخديو اليهم

عزل الخديو ٢٥ يونيو ١٨٧٩ م

وقد اتهم الخديو بانه المسبب لهذه الفتنة واتهم أيضا بالاتفاق مع الأمة لعرقلة مساعى الاوربيين فى تسوية الديون والمالية ولا سيما بعد أن طرد الوزيرين الإجنبيين من الوزارة ولما أحست الدول بأنه يتلاعب بهم ويقاوم نفوذهم وانه عقبة فى طريقهم طلبوا منه أن يعتزل الخديوية فأبى وأجابهم بشدة

وقال ان العزل لا يكون الا من الدولة ظنا منه ان الدولة تنصفه ولكنها وافقت الدول الاوربية وأمرت بعزله وتولية محمد توفيق باشا (٢٥ يونيو سنة ١٨٧٩ م)

توفيق باشا

هكذا انتهت ولاية اسماعيل بعد أن كان ذا دولة وكلمة نافذة وسلطان قوى لا ترد له كلمة من بحيرة فكتوريا الى البحر الابيض ومن البحر الأحمر الى اقاصى دارفور

ولما عزل الخديو اسماعيل باشا خلا الجو للمشتغلين بتسوية المسائل المالية ولم يعودوا يخشون مقاومة كما كان الحال فى زمن اسماعيل وقد ترك رحمه الله لخلفه توفيق باشا مملكة شحنت بالمشاكل وملئت بالاضطراب ومطامع الدول التى ولدت أهم حوادث مصر فى هذا العهد

١ ـ فالمالية مفلسة

٢ ـ وروح النظام والخضوع فى الجيش متلاشية

٣ ـ وفقراء الامة وفلاحوها ناقمون لطول ما كلفتهم الحكومة من الضرائب وسامتهم من العذاب

٤ ـ وأهل الطبقات العليا متذمرون خشية ان يفضى تداخل الاجانب الى ضياع شىء من مميزاتهم

٥ ـ والاوربيون ساخطون لعدم حصولهم على مالهم
من الأموال ودولهم تتنافس فى نيـل اغراضها
السياسية فى البلاد

وبالجملة فان سوء الادارة الماضية جعل حالة مصر عند ولاية الخـديو توفيق من أسوأ الحالات ولكن الحكومة شرعت تدخل من الاصلاحات ماتداوى به سيئات الحكومة الماضية فنظمت طريقة دفع الاموال الأميرية حتى يسهل على الاهالى دفعها والغيت الضرائب المتعـددة الاشكال المختلفة الأنواع التى لجأ اليها اسماعيل باشا لجمع المال لما أعيته الحيل فى جمعه وكان ارتياح المصريين لالغاء هذه الضرائب لايحد.

لجنة التصفية

وفى السنة الثانية من ولايته كونت لجنة التصفية لتسـوية الحالة المالية وهذه اللجنة تممت عمل لجنة التحقيق المختلطة التى تقدم ذكرها ويمكن اعتبارها لجنـة التحقيق وسع فى نفوذها ولـما اتمت هـذه اللجنة بحثها قدمت به قانونا هو المعروف بقانون التصفية.

وكان يرجى أن تسير الأحوال سـيرا ينهض بالأمـة ويصلح مافسد من شؤنها ولكن ولاية المرحوم توفيق باشا

بليث بثورتين عظيمتين فى أملاك الحكومة المصرية الثورة العرابية وثورة المهدى. أما الاولى فانتهت بالاحتلال الانجليزى وأما الثانيــة فانتهت بانفصال السودان عن مصر وضيــاع تلك الاراضى الواسعة التى تعب فى فتحهـا محمـد على باشا واسماعيل باشا

﴿ الثورة العرابيه ﴾

اسباب الثورة

للثورة العرابية والادوار التى لعبتها الدول فيها أسرار لم تعلم لذلك اختلفت الآراء فى الاسباب الحقيقية لهذه الثورة فنهم من ينسبها الى دسيسة أجنبية ومنهم من ينسبها الى التذمر من سوء الحالة فى الأمة

وربمـا كانت الثورة حركة وطنية يراد بها الاصلاح وعـدم هضم حقوق المصرى لـكن زعمـاءها جهلوا طريق الوصول الى مآربهم ولم يقيض لهم حازم مخلص ينظم حركتهم حتى تؤدى الغرض المقصود منها بل انتهز ذووالاغراض هذه الفرصة وفرقوا بين الأمير ورعيته من جهة وبين الجيش واعيان الأمة من جهة أخرى فتغير بذلك سير الثورة وانتهت بمـا لم يكن لزعمائها على بال

ومهما اختلفت الآراء فمن المؤكد أن من الاسباب القوية تألم المصريين فى الجيش من تقدم غير المصريين عليهم من الاتراك والشراكسة وزادهم تذمرا معاملة ناظر الحربية عثمان رفقى باشا اياهم معاملة تجحف بحقوقهم

مبدأ الثورة

لذلك قدموا شكواهم فى ١٥ يناير سنة ١٨٨١ م للحكومة متظلمين من أهمال عثمان رفقى باشا إياهم وطلبوا فيها أمرين

١ عزل رفقى باشا

٢ أن لا يكون الترقى الا بالجدارة حتى لا يتقدم عليهم من هم أكفأ منه وكان زعماء المديرين لهذه الحركة عرابى وعلى فهمى وعبد العال من أمراء الألايات بالجيش وكانت نتيجة هذه الشكوى ان قرر مجلس النظار القبض على مقدميها ومحاكمتهم فى مجلس عسكرى ثم ينظر فى شكواهم بعد ذلك فامروا بالحضور الى نظارة الحربية أول فبراير سنة ١٨٨١ م ولكن لم يخبروا بانهم سيحاكمون

محاكمة الزعماء

ولما وصلوا نظارة الحربية قبض عليهم واحيلوا على المحاكمة فتقرر سجنهم ولم يكد المجلس يفرغ من حكمه حتى وصل الخبر الى جنود هؤلاء الضباط فاسرعوا بالذهاب الى

قصر النيل حيث كان ديوان الحربية واهانوا ناظر الحربية ثم كسروا النوافذ وأخرجوا ضباطهم من السجن وساروا معهم الى عابدين وطلبوا من الخديو عزل عثمان رفقى ناظر الحربية وبعد تردد أجاب الخديو طلبهم وأخبرهم بأنه عزل عثمان رفقى وابدله بمحمود باشا سامى البارودى فقوبل هذا الخبر بالسرور والارتياح وطلب الضباط العفو من سمو الخديو واظهروا له الطاعة

عزل عثمان رفقى وابداله بالبارودى

هذه الحادثة أوجدت فى الجنود قوة جديدة وعلمتهم أنهم يستطيعون الحصول على مآربهم متى أرادوا فلا عجب ان ثاروا مرة أخرى بعد ذلك

خوف الضباط

ولكن الضباط مع فوزهم كانوا يخشون عاقبة سلوكهم هذا فأخذوا يتحفظون ما استطاعوا وكانوا يسيئون الظن فى نوايا الخديو ونظاره ولا سيما رياض باشا فأخذ عصيانهم يزداد وطلباتهم تكثر وازداد سوء التفاهم بينهم وبين الحكومة واتهم محمود باشا سامى البارودى بالتحيز الى المتمردين فعزل وخلفه داود باشا فزاد ذلك استياء زعماء الجنود وسوء ظنهم بنية الحكومة نحوهم حتى رسخ فى أذهانهم أن الحكومة تسعى فى اعدامهم وظهر من خلال الحوادث أن لا بد من حصول

أزمة شديدة ماذام سوء التفاهم قد وصل الى هذا الحد بين الجيش وبين الحكومة وقد كان

وفى تلك الاثناء صدر الأمر الى أحد الألايات الموجودة بالقاهرة بالانتقال الى الاسكندرية فساء ظن الجيش فى قصد الحكومة من هذا النقل وصمم عرابى زعيم الحركة على عمل مظاهرة أخرى فسار بالجنود والمدافع الى عابدين وكان الخديو فى سراى الاسماعيلية فلما علم بالخبر ذهب الى ميدان عابدين حيث جنود عرابى محتشدة وتقدم اليه عرابى ممتطيا جواده شاهرا سيفه فأمره الخديو بالترجل واغماد سيفه ففعل ولما سأله الخديو عما جاء لاجله قال انه جاء بجيشه نائبا عن الأمة يطلب ثلاثة أمور

١ ـ اسقاط الوزارة

٢ ـ تشكيل مجلس النواب

٣ ـ زيادة جنود الجيش

وكان مع الخديو السير كولفن المراقب الانجليزى فى المالية فأشار على الخديو بدخول السراى وتركه مع عرابى وأصحابه إذ لا يليق بمقامه السامى أن يبحث مع ضباط جيشه

فى مثل هـذه المسائل فقعل الخديو وبقى كولفن يكلم عرابى حتى حضر السير كوكسن نائب معتمد انجلترا فأخذ يتفاوض معهم ثم أبلغ الخديو نتيجة المفاوضات فأجاب العرابيين الى مطالبهـم ثم طلب عرابى أن يقابل الخـديو ويعرب له عن اخلاصه وطاعته فتكرم سمو الخـديو بالقبول وعاد الجنود الى ثكناتهم

نتيجة هذه الحادثه

بعد هـذه الحادثة أصبح زعماء الجند أصحاب النفوذ كما لايخفى وهذه هى الثورة الثالثة للجنود المصرية وقد أصبح الجنود بعدها كما أصبحوا بعـد ماقبلها ذوى ثقة فى قوتهـم وأصبحت الحكومة خاضعة للحزب العسكرى فالثورة الأولى انتهت بتضحية نوبار باشا والثانيـة أطفئت بعزل رفقى باشا ليهدأ بال الناقمين عليه من الجيش والثالثة نفذ فيها الجيش مطالبه بالأسنة فأصبح الجيش خلوا من الطاعة والخضوع الضروريين للجنود وضاع نفوذ الخديو وأصبح الوزراء لا يبقون فى مناصبهم الا اذا رغب العرابيون فى ذلك

وزارة شريف باشا

بعد هذه الثورة الثالثة صار شريف باشا رئيسا لمجلس النظار ورأى تهدئة للافكار ابعاد زعماء الثورة عن العاصمة وقد كان

وذهب عرابى بالايه الى التل الكبير وذهب عبدالعال بالايه الى دمياط وعند مغادرتهما القاهرة احتفل بهما احتفال عظيم يليق بالملوك لابضباط منقولين بجنودهم من جهة الى جهة وخطب على المحطة الخطباء وفى مقدمتهم عبدالله نديم

تداخل الدولة العلية

اما الدولة العلية فاظهرت فى بادىء الأمر سكوتا وعدم اكتراث بازاء هذه الحركة فى مصر ولكنها عادت فبعثت اثنين من رجالها قاما بالتفتيش على الجنود المصرية وحثهم على طاعة سمو الخديو لانه ممثل جلالة السلطان ولم يطيلا الاقامة فى مصر بل غادراها الى القسطنطينية وذلك بسعى الدول الأوربية

ومن الحوادث التى حصلت بعد ذلك تعطيل بعض الجرائد العربية والافرنجية لتطرفها فى اثارة الخواطر وتعين عرابى باشا وكيلا للحربية ارضاء للجيش وبعد زمن يسير حصلت أزمة بين مجلس النواب وشريف باشا رئيس الوزارة انتهت بجعل محمود باشا سامى البارودى رئيسا لمجلس النظار بدل شريف باشا وبجعل عرابى ناظرا للحربية فزاد الحزب العسكرى قوة على قوة وفى زمن هذه الوزارة اشتدت الأزمة وكان

عرابى وكيل للحربيه

وزارة البارودى

عرابى يجعل وزيرا للحربية

تداخل الدول الذى افضى الى الاحتلال البريطانى ثم أخذت انجلترا وفرنسا تسعيان فى التداخل فى مصر تداخلا فعليا فبعثتا الى الخديو مذكرة تؤكدان له فيها اتفاقهما على تعضيده وحفظ مركزه طبقا للفرمانات السلطانية وذلك لما لهما من المصالح فى مصر ومنذ قدمت هذه المذكرة أصبح تداخل الأجانب أمرا لا بد منه

اللائحة الفرنسيه الانجليزية

الازمة بين النظار والخديو وقدوم اساطيل انجلترا وفرنسا

اما عرابى فانه لما ولى نظارة الحربية جعل يتداخل فى جميع أعمال الحكومة ويضطهد الضباط الشراكسة انتقاما منهم ومن جملتهم عثمان باشا رفقى ناظر الحربية السابق وبلغ عرابى انهم يريدون الايقاع به فقبض عليهم وسجنهم وحوكموا فى مجلس عسكرى حكم عليهم بالنفى الى السودان ثم رأى الخديو تخفيف الحكم فاصر مجلس النظار على الحكم الأول ووقع الخلاف بين مجلس النظار والخديو واستقال البارودى باشا ولم يقبل أحد رياسة مجلس النظار بعده فاشتد الاضطراب وانتهزت انجلترا وفرنسا هذه الفرصة فأتت أساطيلهما الى الاسكندرية

وبعد قدوم الاساطيل طلبت الدولتان اسقاط الوزارة

وابعاد زعماء الحركة فهاج الجيش لذلك وأصر على بقاء عرابى
فى نظارة الحربية فبقى وأصبح الجيش صاحب النفوذ فى القطر

قدوم درويش باشا

وفى تلك الاثناء أرسلت الدولة درويش باشا وزودته
بالتعليمات اللازمة ولكن قبل أن يتمكن من اداء مهمته كان
الاضطراب قد جاوز الحد وكثر الرعب والخوف بين الاجانب
وأراد الجيش خلع الخديو اذا لم يرفض مساعدة الدولتين له

مذبحة الاسكندرية ١١ يونيه سنة ١٨٨٢ م

ان الاضطراب الحاصل فى ذاك الوقت أوجد كثيرا
من النفور بين الوطنيين والاجانب فى الأسكندرية وكانت
عاقبة هذا النفور حصول مذبحة فى الاسكندرية قتل فيها
كثيرون من الوطنيين والأجانب

اطلاق القنابل على الاسكندرية

ثم صدرت الأوامر للأميرال سيمور قائد الاسطول
الانجليزى باطلاق القنابل على الاسكندرية ورفضت فرنسا
الاشتراك مع انجلترا فى ذلك فأطلقها بحجة ان اشتغال الجنود
المصرية باصلاح حصونها تهديد لانجلترا وكان ذلك الساعة
٧ صباحا من يوم الثلاث (١١ يوليه سنة ١٨٨٢ م) فجاوبت

الاحتلال

الحصون ولكن لم تستطع المقاومة ثم نزل الانجليز الى المدينة
وجعل عرابى معسكره فى كفر الدوار وأرسل يرجو من الخديو

الانتقال من الاسكندرية الي القاهرة فلم يقبل خوفا على نفسه ثم جاء الجيش الإنجليزي يقوده الجنرال (وولزلى) فرأى الاغارة على مصر من جهة قناة السويس وهزم الجنود المصرية بكل سهولة فى التل الكبير (١٢ سبتمبر سنة ١٨٨٢م) وفر عرابى الى القاهرة وسار الأنجليز اليها ودخلوها بلا مقاومة واستولوا على ثكناتها وقلعتها وتم بذلك احتلالهم للقطر المصرى (١٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م) ونزل القائد الجنرال وولزلى الى سراى عابدين وأرسل جنوده الى كفر الدوار فسلم لهم العرابيون وبعث أحد قواد الجيش الانجليزى بالنيابة عن القائد العام يطلب مقابلة عرابى وطلبه ولما قابلاه سلما اليه سيفيهما وبعد ذلك قبض على كثيرين من الضباط والعلماء وأعضاء مجلس النواب والاعيان والتجار والعمد ثم عاد الخديو الى القاهرة وشكلت اللجان لمحاكمة المتهمين وقدم عرابى تقريرا وافيا عن الحوادث العرابية وصدر الحكم عليه وعلى رفقائه بالاعدام ثم عدل الحكم وصار نفيا مؤبدا فنفوا الى جزيرة سيلان

التل الكبير

محاكمة العرابيين

﴿ ثورة المهدى ﴾

لما استقال غردون باشا من حكمدارية السودان كما تقدم في تاريخ اسماعيل باشا خلفه محمد رؤف باشا ثم جعل للسودان الشرقي ادارة خاصة به وجعل علاء الدين باشا مديرا عاما له وفي زمن حكمدارية رؤف باشا هذا ظهر محمد احمد المهدى بدعوته وبذرت بذور الثورة ضد الحكومة

امتداد املاك مصر

كانت سلطة الحكومة المصرية في ذلك الوقت ممتدة من وادي حلفا شمالا الى خط الاستواء جنوبا ومن مصوع شرقا الى الحدود الغربية لدارفور غربا وهى مساحة تبلغ ضعف مساحة فرنسا وألمانيا معا

وكان أهالى السودان قد سئموا سوء معاملة الحكام اياهم حتى هجروا الاراضى في بعض الجهات وأهملوا زراعتها وكان الموظفون المكلفون بجمع الضرائب ولاسيما الاتراك منهم يكلفون الاهالى مالا قبل لهم به ويعاملونهم بالقسوة وبالجملة فقد كان حال الحكومة في السودان لايحبب فيها الاهالى بل يجعلهم يتمنون التخلص منها ولم ينقصهم الا رجل يحثهم

على ذلك وقد وجد

ظهور المهدى

ففى سنة ١٨٨١م ظهر رجل من أهل دنقله اسمه محمد احمد ادعى أنه المهدى وأخذ يسخط على الحكومة ويرميها بالمروق من الدين ويحرض على الخروج عليها وعدم الخضوع لها فلقى من تذمر الاهالى معينا له فى جمع القلوب حوله ولا غرابة فقد اجمع الكاتبون عن هذه الحوادث أن السخط على الحكومة كان عاما

انتصاره على الحكومه

ولما وصل الخبر الى رؤف باشا سعى فى استمالة المهدى كى يحضر الى الخرطوم فلم يقبل ولم ينفع فيه التهديد ثم أرسل رؤف باشا ضابطين ومعهما شرذمة من الجند لاحضار المهدى وكان فى جزيرة ابا فى النيل الأبيض واختلف الضابطان فلم يفلحا فى مهمتهما وهزمهما رجال المهدى وقتلوا كثيرين من الجند وعاد من بقى الى الخرطوم

هذه الحادثة كانت أول خطوة فى سبيل ارتفاع شأن المهدى واستخفافه بالحكومة وميل الناس اليه

هجرة المهدى

ثم انتقل المهدى الى ضفة النيل الغربية باتباعه وتحصن بجبل قدير فى جنوب كردفان واعلن انه فعل ذلك تشبها بهجرة النبى

صلى الله عليه وسلم وكان المهدى يتظاهر بتقليد نظام الصحابة مع رسول الله يريد بذلك التأثير فى أصحابه فجعل له أربعة من الخلفاء .

وأرسل سعيد باشا مدير كردفان جيشا للقبض على المهدى فلم يتمكن من ذلك وحصلت معركة بين المهدى وجنود الحكومة انتصر فيها المهدى واستولى على أسلحة وذخائر ثم عمت الفتنة وانتشر دعاة المهدى فى أنحاء السودان يدعون الناس الى الجهاد والانضمام اليه لمقاومة الحكومة

عزل رؤف

ولما اشتد الحال فى السودان عزل رؤف باشا وخلفه عبد القادر باشا حلمى وما زال نفوذ المهدى يمتد حتى صمم على الزحف على الأبيض وانضم اليه كثيرون من الاهالى لضعف ثقتهم بالحكومة ثم شدد الحصار على المدينة وطلب من سعيد باشا أن يسلم فأجابه بقتل رسله فزاد غيظ المهدى ...

سقوط الابيض ١٨٨٣ م

ثم أرسل عبدالقادر باشا النجدات الى الأبيض فلم تصلها بل هزمت فى الطريق ولما لم تعد الأبيض قادرة على الدفاع سلمت بعد حصار خمسة أشهر (١٨٨٣ م) ثم استدعى عبد القادر باشا حلمى وخلفه علاء الدين باشا .

حملة هكس ١٨٨٣ م

لما استولى المهدى على الأبيض أرادت الحكومة ان تقضى على الدراويش بعد ان أصبح زعيمهم يهدد الحكومة فى السودان فأرسلت حملة بقيادة هكس باشا (١٨٨٣م) ولكن الدراويش تمكنوا من الاحاطة بجنود هذه الحملة واهلاكهم

تسليم سلاتين فى دارفور

ولما علم سلاتين باشا حاكم دارفور بهلاك الجنود المصرية بقيادة هكس سلم دارفور لرجال المهدى وأخذ أسيراً ثم سلمت

تسليم بحر الغزال

مديرية بحر الغزال الى الدراويش وبذلك أصبح السودان الغربى فى يدهم وأصبحت بقية البلاد السودانية مهددة

وبينما المهدى يستولى على الجهات الغربية كان عثمان

عثمان دجنه

دجنه يقوم بنشر المهدوية فى السودان الشرقى وقد نجح وكبرت قوة الثوار وهزموا الجنود التى وجهت لقتالهم وبقوا يهددون الحكومة فى تلك الجهات

فصل السودان من مصر

ولما كثرت القلاقل فى السودان أشير على الحكومة المصرية بترك السودان وعارض شريف باشا رئيس الوزارة فاستقالت وزارته وتشكلت وزارة نوبار فقبل نوبار الموافقة على مالم يوافق عليه شريف

وفى سنة ١٨٨٤م دعى غردون باشا للذهاب الى السودان

غردون باشا يذهب الى السودان

وسحب الجنود المصرية ولما قدم القاهرة (يناير سنة ١٨٨٤م) أراد ان يذهب معه الزبير باشا لما له من النفوذ في السودان ولكن لم توافق الحكومة الانجليزية على استخدام الزبير باشا لما له من السمعة السيئة في الاتجار بالرقيق ومن أغرب ما فعل غردون اعلانه في السودان أن الحكومة المصرية قررت فصل السودان من مصر وتركه لاهله

ثم شرع العصاة في محاصرة الخرطوم ولما أشرف غردون على الهلاك أرسلت نجدة الى الخرطوم لانقاذه ولكنها جاءت في

سقوط الخرطوم ١٨٨٥ م

الزمن الاخير ولما قربت من الخرطوم رأت المدينة قد سقطت (يناير سنة ١٨٨٥م) في يد الدراويش فعادت من حيث أتت وكان في التجريدة جنود من المصريين وجيش الاحتلال وبسقوط الخرطوم أصبح السودان ملكا للمهدي

غزو الدراويش مصر

ولما مات المهدي أراد التعايشي خليفته غزو مصر فأرسل اليها

طوشكي ١٨٨٩ م

جنوده بقيادة النجومي وكانت بينه وبين المصريين غزوة طوشكي وفيها هزم الدراويش وأصبحت الحدود آمنة منهم (١٨٨٩ م) ثم تمكنت الجنود المصرية والانجليزية من المحافظة على سواكن وما جاورها وبذلك أمنت مصر شر اغارة الدراويش عليها

﴿ مآل أملاك مصر فى السودان ﴾

لما تلاشت قوة مصر من السوذان تجزأت تلك المملكة الواسعة التى كانت لاسماعيل باشا ونال كل قادز نصيبه منها فالبلاد البعيدة من الشاطئ بقيت فى يد الدراويش تعانى ألم الوحشية والجهات القريبة من الشاطئ استولت عليها الدول الاوربية

فدارفور وبحر الغزال وسنار وكسله استولى عليها الدراويش وأما مقاطعات خط الاستواء فبقيت مع حاكمها (ادوارد شنيتزلر) الشهير بأمين باشا لأنه رفض التسليم للدراويش وبقى فيها يعانى المصاعب حتى ذهب اليه (استانلى) وأتى به هو ورجاله الى شاطئ أفريقية ومنه عاد من معه الى مصر

وكانت زيلع وبربرة من نصيب انجلترا

وردت هرر الى أميرها ثم أخذتها الحبشة

وأخذ الفرنسيون أوبك وماجاورها (تاجورا) واحتلت ايطاليا مصوع

﴿ تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث ان شاء الله ﴾

﴿ اصلاح خطأ ﴾

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٢	٨	فردريك	فردناند
٣٧	١٦	لويس الرابع	لويس الرابع عشر
٤٠	٨	وويز	ووزير
٤٨	١٦	الاسبانية	النمسوية
٧٠	١٠	الثانى	الثانى عشر
٧١	٥	الثانى	الثانى عشر
٩٤	٦	الاسكندرية فصدمت	الاسكندرية وحاولت الاستيلاء على رشيد مرتين فصدمت
٩٤	٧	قطعا	قطعتا
٩٨	١٤	مسعود	سعود
١٠٨	٨	واتسمت	وانشئت

﴿ فهرست الكتاب ﴾

صفحة



